جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

كلية الأداب

قسم التاريخ

السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز (99-101هـ)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

إعداد الطالبة:

إسلام قرشي علي إدريس

إشراف الدكتور:

د. عصام محمود عثمان

1439هـ-2017م

П

الإستـهلال

قال الله تعالى:

{قَـالُواْ سُـبْحَانَكَ لاَ عِلْـمَ لَنَـا إِلاَّ مَـا عَلَّمْتَنَـا إِنَّـكَ أَنـتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }

صدق الله العظيم

(سورة البقرة / الآية(32))

الإهداء

إلى من كان دعاؤهما سر نجاحي .... إلي الينابيع التي لا تمل العطاء

إلى معنى الحب والحنان

(أمي الحبيبة... وأبي العزيز)

إلى من أعانوني بهذه الحياة

(أخواتي وأخي الأمين)

لهم جميعاً أهدى هذا الجهد

الشكر والتقدير

الشكر لله أولآ وأخيراً الذي أنعم علي بنعمة العلم و الصلاة والسلام على خير سيد الأنام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أتقدم بأسمى آيات الشكر والتجلة لجامعة النيلين متمثلة في كلية الدراسات العليا وكلية الأداب قسم التاريخ التي منحتني شرف الإلتحاق بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ مع تمنياتي بأن تخطو هذه الجامعة دوماً نحو الأمام.

واقف عاجزاً عن تقديم الشكر للمشرف على الرسالة الدكتور/ **عصام محمود عثمان** الأستاذ الإنسان الخلوق المتواضع تواضع العلماء بحق وفقه الله وسدد خطاه.

كما أتقدم بالشكر لكل الجهات التي ساعدتني في الحصول علي المعلومات المطلوبة وأخص بالشكر مكتبة جامعة النيلين، جامعة الزعيم الأزهري، جامعة الخرطوم، ودار الوثائق السودانية.

وأخيراً الشكر والتقدير لكل من ساعدني وشجعني ومد لي يد العون حتى اكتمل هذا البحث.

المستخلص

تناولت ه الدراسة السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز (99–101هـ). وذلك لكون ذو توجه إداري رشيد ففي عهده استقرت الدولة الإسلامية استقراراً لم يشهد له مثيل.

هدفت الدراسة إلى التعرف لشخصية عمر بن عبد العزيز، وتقديم دراسة تحليلية للأوضاع الاقتصادية في خلافته والجهود التي بذلها لينعم عهده برخاء اقتصادي.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. وخلصت إلى العديد من النتائج منها: الإصلاح المالي والاقتصادي وحرية التجارة كان لهم أثّر بارز في زيادة الإنتاج وهذا كان له أثر عظيم في زيادة موارد الزكاة، العدل والتقوى في عهده الذي ما إن سمع الناس بولايته حتى سارعوا إلى دفعها للدولة، وذلك عائد إلى ثقة الناس بتقديم الزكاة إلى ديوان الصدقات، وأن مخالفات وتجاوزات الخلفاء بعد عمر بن عبد العزيز أدت إلى انتكاس السياسة المالية للدولة الأموية.

بناءً على نتائج الدراسة أوصت الدراسة بالآتي: تتبع الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في المصادر التاريخية واستخلاص أقواله وتوجيهاته لولاته وعماله في شؤون إدارة الدولة الإسلامية، وإجراء المزيد من البحوث المتخصصة في سيرة عمر بن عبد العزيز في الجوانب الإدارية والمالية والقضائية.

Abstract

The study dealt with the adult financial policy of Omar Ibin Abdul Aziz (99-101). Because of a rational administrative direction during his tenure stabilized the Islamic state stability has not seen before.

The study aimed to identify the personality of Omar Ibin Abdul Aziz, and to provide an analytical study of the economic conditions in succession and the efforts made to grant the era of economic prosperity.

The study was based on the analytical descriptive approach. It has reached many results, including: financial and economic reform and free trade have had a significant impact on the increase in production and this has had a great impact on increasing the resource of Zakat, justice and piety in his era, which once people heard his mandate until they rushed to pay the state, Zakat to the charity, and that the irregularities and excesses of the caliphs after OmarI bin Abdul Aziz led to a reversal of the financial policy of the Umayyad state.

Based on the results of the study, I recommend the following: Follow the effects of Omar Ibin Abdul Aziz in the historical sources and draw his words and guidance to his and his workers in the affairs of the administration of the Islamic State, and further research specialized in the biography of Omar bin Abdul Aziz in the administrative, financial and judicial aspects.

قائمة الموضوعات

المقدمة:

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية هو ثامن الخلفاء الأمويين ولد سنة 61هـ في المدينة المنورة ونشأ فيها، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة وكان شديد الإقبال على العلم، وفي سنة 87هـ ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، وعندما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قربه وجعله وزيرا ومستشارا له، ثم جعله ولي عهده، وعندما توفي سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة، وتميزت خلافة عمر بعدد من المميزات منها العدل والمساواة.

كما أخذت سياسة عمر بن عبد العزيز المالية مكانة بالغة الأهمية في فترة خلافته، إذ تشهد أيامه التي قضاها على رأس الخلافة أنه كان مديرا ماليا بامتياز، وقد تميز عهده برخاء اقتصادي حتى صار أهل الزكاة لا يجدون من يأخذ زكاتهم، وذلك لعدم وجود من يستحقها.

والمؤسسة المالية تعني حافظة النقود أو الخزنة المالية يراد في معناها الأصلي كل من المالية العامة وميزانية الدولة وتتجلي أسس المؤسسة المالية لعمر بن عبد العزيز من خلال النظر والتبصر في بعض خطبه المشهورة، والتي كانت تحمل في طياتها ملامح سياسة مالية راشدة أستلهمها من ما سبقه في الحكم من الخلفاء الراشدين، بالأخص من سيدنا عمر بن الخطاب، حتى تكون له سندا وذخرا يقتدي به مستقبلا، وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز المالية تستهدف إيصال الناس إلى حد الكفاية، من خلال زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى

مشكلة الدراسة:

مشكلة الدراسة في الحاجة إلى دراسة علمية وتحليلية لعوامل الرفاهية الاقتصادية في عهد الخليفة الراشدي عمر بن عبد العزيز التي بدأت من خلال تطبيق نظام مالي مثالي أدى إلى الإزدهار الاقتصادي في عهده.

تهداف الدراسة :

1. التعرف علي شخصية عمر بن عبدالعزيز .
2. الوقوف علي الكيفية التي نوي بها الخليفة عمر بن عبدالعزيز للخلافة .
3. إستعراض الجهود التي بذلها الخليفة عمر بن العزيز لينعم الناس في عهدة بالرخاء الاقتصادي .
4. تحليل الأوضاع الأقتصادية في عهدة .

أهمية الدراسة:

نبعت أهمية الدراسة من الحاجة للرجوع إلى الأسس والمبادئ الإسلامية لمواجهة الأزمات المالية والإقتصادية العصرية التي ترتبط بالدول الإسلامية عموما والكشف عن قدرة الإسلام في معالجة قضايا الإقتصاد

منهج الدراسة:

المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية:

الحدود الزمانية: منذ 99– 101هـ .

الحدود المَكانية: للدولة الأموية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز من حدود السند شرقاً إلى الأندلس والرباط غربا.

الحدود الموضوعية: دراسة شاملة للسياسة المالية في خلافة عمر بن عبد العزيز.

الدراسات السابقة:

- حسن علي صالح: النظم الإدارية والاقتصادية (المالية) للدولة الإسلامية منذ قيامها وحتى سقوط الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م.

وقد استفاد الباحث من الفصل الرابع في النظم المالية الإسلامية في عهد الدولة الأموية (40هـ – 660م) والإصلاحات المالية للدولة الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز

- جمال أحمد عبد الحميد: العطاء في الدولة الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز 99– 101م، رسالة ماجستير، جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ، يحتوي البحث على التمهيد: سيرة عمر بن عبد العزيز، نسبه، ومولده، وتوليته الخلافة.

- عصام هشام عيدروس الجفري ؛ التطور الإقتصادي في العصر الأموي ، رساله ماجستير ، جامعة أم القري ،الرياض ، 2006م .

- محمد الفقهاء ، الجوانب التربوية في حياة عمر بن العزيز ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة اليرموك ، عمان 2005م .

- بشير كمال بشير عابدين ، السياسة الأقتصادية والمالية لعمر بن عبدالعزيز ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، عمان ، 2003م .

هيكل الدراسة:

الفصل الأول: خلافة عمر بن عبدالعزيز وسياسات المالية

المبحث الأول: خلافة عمر بن عبد العزيز

المبحث الثاني: أسس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز

الفصل الثاني: الإصلاح المالي للموازنة العامة للزكاة

المبحث الأول: الإصلاحات المالية في عهد عمر بن عبد العزيز

المبحث الثاني: الإصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة وخمس الغنائم

الفصل الثالث: الإصلاح المالي لإيرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة

المبحث الأول: الإصلاح المالي لإيرادات الجزية

المبحث الثاني: الإصلاح المالي لخراج الأرض وعشور التجارة

الفصل الرابع: انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز بعد وفاته

المبحث الأول: وفاة عمر بن عبدالعزيز

المبحث الثاني: انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للإصلاح المالي

بالإضافة إلى الخاتمة والمصادر والمراجع.

الفصل الأول

خلافة عمر بن عبد العزيز

المبحث الأول

خلافة عمر بن عبد العزيز

أولاً : اسمه ولقبه وكنيته وأسرته:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية، كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين، وكان حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيِّد السياسة حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوّاها منيباً، قانتا لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوهُ وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حقٍّ، فمازالوا به حتى سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين، وكان رحمه الله فصيحاً مُفوَّهاً.[1]

1 . **والده:** هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكان من خيار أمراء بني أمية، شجاعاً كريماً بقي أمير لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لقيمه: اجمع لي أربعمائة ديناراً من طيب مالي، فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح[2]، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي حفيده

---

[1] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص144/5.

[2] الزهري: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص331/5

أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وقيل اسمها ليلى،[3] كما أن زواجه من آل الخطاب ما كان ليتم لولا علمهم بحاله وحسن سيرته وخلقه، فقد كان حسن السيرة في شبابه، فضلاً عن التزامه وحرصه على تحصيل العلم واهتمامه بالحديث النبوي الشريف فقد جلس إلى أبي هريرة وغيره من الصحابة وسمع منهم، وقد واصل اهتمامه بالحديث بعد ولايته مصر، فطلب من كثير بن مرة في الشام أن يبعث إليه ما سمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان من طريق أبي هريرة فإنه عنده، وقد كان والد عمر بن عبد العزيز ذا نفس تواقة إلى معالي الأمور سواء قبل ولايته مصر أو بعدها فحين دخل مصر أيام شبابه تاقت نفسه إليها وتمنى ولايته فنالها، ثم تاقت إلى الجود فصار أجود أمراء بني أمية وأسخاهم، فكانت له ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل، ومن جوده كان يقول: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده. وقد أكثر المؤرخين من الثناء عليه لجوده وهذا الجود كان ممتزجاً باليقين بأن الله سبحانه وتعالى يخلف على من يرزقه فيقول: عجب لمؤمن يؤمن أن الله يرزقه ويخلف عليه كيف يحبس ماله عن عظيم أجر وحسن ثناء، وكان ذا خشية من الله، ونستقرأ هذه الخشية من قوله حين أدركه الموت: وددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً، ولوددت أني أكون هذا الماء الجاري أو نبته بأرض الحجاز.[4]

---

[3] بديع محمد إبراهيم الدليمي و فاروق عباس وهيب، عبد العزيز بن مروان وسيرته وأثره في أحداث العصر الأموي، مكتبة جامعة بغداد، بغداد، 1998م، ص58.

[4] خالد محمد خالد، معجز الإسلام عمر بن عبدالعزيز، المقطم للنشر، القاهرة، 2005م، صـ55

2 . **أمه:** أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووالدها، عاصم بن عمر بن الخطاب، الفقيه، الشريف أبو عمرو القرشي العدوي ولد في أيام النبوة وحدّث عن أبيه وأمه هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّة، وكان طويلاً جسيماً وكان من نبلاء الرجال، ديِّنا، خيِّراً، صالحاً، وكان بليغاً، فصيحاً، شاعراً، وهو جد الخليفة عمر بن عبد العزيز لأُمِّه، مات سنة سبعين، فرثاه ابن عمر أخوه.[5]

3 . ولادته ومكانها : 61هـ، المدينة:

اختلف المؤرخون في سنة ولادته والراجح أنه ولد عام 61هـ وهو قول أكثر المؤرخين ولأنه يؤيد ما يذكر أنه توفي وعمره أربعون سنة حيث توفي عام 101هـ، وتذكر بعض المصادر أنه ولد بمصر وهذا القول ضعيف لأن أباه عبد العزيز بن مروان بن الحكم إنما تولى مصر سنة خمس وستين للهجرة، بعد استيلاء مروان بن الحكم عليها من يد عامل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فولّى عليها ابنه عبد العزيز ولم يعرف لعبد العزيز بن مروان إقامة بمصر قبل ذلك، وإنما كانت إقامته وبني مروان في المدينة، وذكر الذهبي أنه ولد بالمدينة زمن يزيد.[6]

4 . **أشج بني أمية:** كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يلقب بالأشج، وكان يقال له أشج بني مروان، وذلك أن عمر بن عبد العزيز عندما كان صغيراً دخل إلى اصطبل أبيه عندما كان والياً على مصر ليرى الخيل فضربه فرس في وجهه فشجه، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك إذاً لسعيد، ولما رأى أخوه الأصبغ الأثر قال: الله أكبر! هذا أشج بني مروان الذي يملك، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن

---

[5] أبن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1988م، ص56

[6] الذهبي: مصدر سابق، ص118/1.

من ولدي رجلاً بوجهه أثر يملأ الأرض عدلاً . وكان الفاروق قد رأى رؤيا تشير إلى ذلك وقد تكررت هذه الرؤيا لغير الفاروق حتى أصبح الأمر مشهوراً عند الناس بدليل ما قاله أبوه عندما رأى الدم في وجهه وما قاله أخوه عندما رأى الشج في وجهه كلاهما تفاءل لعله أن يكون ذلك الأشج الذي يملأ الأرض عدلاً.[7]

5 . **إخوته:** كان لعبد العزيز بن مروان والد عمر بن عبد العزيز عشرة من الولد وهم: عمر وأبو بكر ومحمد وعاصم وهؤلاء أمهم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وله من غيرها ستة وهم: الأصبغ وسهل وسهيل وأم الحكم وزبّان وأم البنين، وعاصم هو من تكنى به والدته ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فكنيتها أم عاصم.[8]

6 . **أولاده:** كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أربعة عشرة ذكراً منهم: عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبكر والوليد وموسى وعاصم ويزيد وزبان وعبد الله وبنات ثلاثة أمينة وأم عمار وأم عبد الله وقد اختلفت الروايات عن عدد أولاد وبنات عمر بن عبد العزيز فبعض الروايات تذكر أنهم أربعة عشر ذكراً كما ذكره ابن قتيبة وبعض الروايات تذكر أن عدد الذكور اثنا عشر وعدد الإناث ست كما ذكره ابن الجوزي والمتفق عليه من الذكور اثنا عشر، وحينما توفي عمر بن عبد العزيز لم يترك لأولاده مالاً إلا الشيء اليسير أنه أصاب الذكر من أولاده من التركة تسعة عشر درهماً فقط، بينما أصاب الذكر من أولاد هشام بن عبد الملك ألف ألف (مليون) وما هي إلا سنوات قليلة حتى كان

---

[7] محمد شقير، فقه عمر بن عبد العزيز، دار الرشد، بيروت، 2003م، ص20/1.

[8] محمد شقير : المرجع سابق، ص22/1.

أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس في سبيل الله في يوم واحد، وقد رأى بعض الناس رجلاً من أولاد هشام يتصدق عليه.[9]

8 ـ صفاتة الخلقية :

نشأ عمر بالمدينة وتخلق بأخلاق أهلها، وتأثر بعلمائها وأكب على أخذ العلم من شيوخها، وكان يقعد مع مشايخ قريش[10] .

كان عمر بن عبد العزيز . رحمه الله . أسمر رقيق الوجه أحسنه، نحيف الجسم حسن اللحية، غائر العينين بجبهته أثر نفحة دابة وقد خطه الشيب، وقيل في صفته: أنه كان رجلاً أبيض دقيق الوجه، جميلاً، نحيف، وقيل في صفته: أنه كان رجلاً أبيض دقيق الوجه، جميلاً، نحيف الجسم، حسن اللحية.[11]

ثانياً : العوامل التي أثرت في تكوين شخصية عمر بن عبد العزيز:

---

[9] أبن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، سيرة عمرة بن عبد العزيز ، تحقيق: محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، بيروت، 1331هـ، ص338

[10] ابن كثير: مصدر سابق ، ص680/12 .

[11] حياة محمد جبريل ، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م، ص58/1.

1 . الواقع الأسري:

نشأ عمر بن عبد العزيز في المدينة، فلما شب وعقل وهو غلام صغير كان يأتي عبد الله بن عمر بن الخطاب لمكان أمه منه، ثم يرجع إلى أمه فيقول: يا أمه أنا أحب أن أكون مثل خالي . يريد عبد الله بن عمر . فتؤفف به ثم تقول له: أغرب أنت تكون مثل خالك وتكرر عليه ذلك غير مرة. فلما كبر سار أبوه عبد العزيز بن مروان إلى مصر أمير عليها، ثم كتب إلى زوجته أم عاصم أن تقدم عليه وتقدم بولدها، فأتت عمها عبد الله بن عمر فأعلمته بكتاب زوجها عبد العزيز إليها فقال لها: يا أبنة أخي هو زوجك فالحقي به، فلما أرادت الخروج قال لها: خلفي هذا الغلام عندنا . يريد عمر . فإنه أشبهكم بنا أهل البيت فخلفته عنده ولم تخالفه، فلما قدمت على عبد العزيز اعترض ولده فإذا هو لا يرى عمر، قال لها: وأين عمر؟ فأخبرته خبر عبد الله وما سألها من تخليفه عنده لشبهه بهم، فسرّ بذلك عبد العزيز، وكتب إلى أخيه عبد الملك يخبره بذلك، فكتب عبد الملك أن يجري عليه ألف دينار في كل شهر، ثم قدم عمر على أبيه، وهكذا تربى عمر رحمه الله تعالى بين أخواله بالمدينة من أسرة عمر بن الخطاب، ولا شك أنه تأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة[12].

2 . إقباله المبكر على طلب العلم وحفظه القرآن الكريم:

فقد رزق منذ صغره حب الإقبال على طلب العلم وحب المطالعة والمذاكرة بين العلماء كما كان يحرص على ملازمة مجالس العلم في المدينة وكانت يومئذ منارة العلم والصلاح زاخرة بالعلماء والفقهاء والصالحين، وتاقت نفسه للعلم وهو صغير وكان أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب، وجمع عمر بن عبد العزيز القرآن وهو صغير وساعده على ذلك صفاء نفسه وقدرته الكبيرة على الحفظ وتفرغه الكامل

---

[12] حياة محمد جبريل ، المرجع السابق ، ص56/1 .

لطلب العلم والحفظ. وقد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم في نظرته لله عز وجل والحياة والكون والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الموت وكان يبكي لذكر الموت بالرغم من حداثة سنه فبلغ ذلك أمه فأرسلت إليه وقالت ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت. فبكت أمه حين بلغها ذلك، وقد عاش طيلة حياته مع كتاب الله عز وجل متدبراً ومنفذاً لأوامره، ومن مواقفه مع القرآن الكريم[13]:

أ . **عن ابن أبي ذيب:** قال: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة، وقرأ عنده رجل: ((**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**)) (الفرقان ، الآية : 13). فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه، فقام من مجلسه فدخل بيته، وتفرق الناس. ومفهوم هذه الآية: إذا ألقي هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكاناً ضيقاً، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ((**دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا**)). والثبور في هذا الموضوع دعا هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا والإيمان بما جاء به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة[14] .

ب . **وعن أبي مودود قال:** بلغني أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم: ((**وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا**)) (يونس ، الآية : 61). فبكى بكاءً شديداً حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة . زوجته . فجعلت تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهم، فجاء عبد الملك، فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون فقال: يا أبه، ما يبكيك؟ قال: خير يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا

---

1 ابن كثير: المصدر السابق ، ص678/12 .

[2]سورة الفرقان ، الأية 13 .

1 محمد شومان، دموع القراء ، دار النفائس ، عمان ، 2003م، ص107.

[2] سورة يونس ، الأية 61 .

بني لقد خشيت أن أهلك والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار. ومعنى الآية: إن الله تعالى يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة وأوان ولحظة وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين كقوله: **((وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ))** (الأنعام ، الآية 59) . فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات، وكذلك الدواب السارحة في قوله: **((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ))** (الأنعام ، الآية 38)، وقال تعالى : **((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا))** (هو ، الآية :6)، وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟ كما قال تعالى: **((وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ))** (الشعراء ، الآيات : 217 ، 219)، ولهذا قال تعالى: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون[15]

ج . **وعن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنزي قال:** رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ووراءه حبشي يمشي فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال: هكذا رحمكما الله، حتى صعد المنبر، فخطب فقرأ: **((إِذَا الشَّمْسُ**

---

1 ابن كثير: المصدر السابق ، ص684/12

سورة الأنعام ، الأية 59

سوره الأنعام الاية 38

سوره الأنعام الأية 6

سورة الشعراء الأية 217

كُوِّرَتْ))، فقال: وما شأن الشمس؟ ((**وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ**))، حتى انتهى إلى ((**وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ**)) (التكوير: الآيتان: 11 ، 12) فبكى وبكى أهل المسجد، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه. وهذه السورة جاء فيها الأوصاف التي وصف بها يوم القيامة من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليتدبر سورة((**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**)). بل ثبت مرفوعاً من حديث أبن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ((**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**)) ((**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**)) ((**إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**)).[16]

د . وعن ميمون بن مهران قال: قرأ عمر بن عبد العزيز ((**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**)) فبكى ثم قال: ((**حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**)) ما أرى المقابر إلا زيارة، ولابد لمن يزورها أن يرجع إلى جنة أو

---

[16] الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ، حديث رقم 3333.

2 أبن قدامة : موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة ، الرقة والبكاء ، دار القلم ، دمشق ، 2001م ، ص 425.

سورة التكوير الأيتان 11، 12.

سورة التكوير الأية 1.

سورة التكاثر الأية 1

إلى النار، هذه بعض المواقف التي تبين تأثير القرآن الكريم على شخصية عمر بن عبد العزيز.[17]

3 . **الواقع الاجتماعي:** إن البيئة الاجتماعية المحيطة لها دور فعال ومهم في صناعة الرجال وبناء شخصيتهم، فعمر بن عبد العزيز عاش في زمن ساد فيه مجتمع التقوى والصلاح والإقبال على طلب العلم والعمل بالكتاب والسنة، فقد كان عدد من الصحابة لا زالوا بالمدينة، فقد حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، واستوهب منه قدحاً شرب منه النبي صلى الله عليه وسلم، وأمّ بأنس بن مالك، فقال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى، فكان للإقامة بالمدينة آثار نفسية ومعان إيمانية، وتعلق روحي، وكان لذلك المجتمع قوة التأثير في صياغة شخصية عمر بن عبد العزيز العلمية والتربوية.[18]

4 . **تربيته على أيدي كبار فقهاء المدينة وعلمائها:**

اختار عبد العزيز والد عمر صالح بن كيسان ليكون مربياً لعمر بن عبد العزيز، فتولى صالح تأديبه وكان يلزم عمر الصلوات المفروضة في المسجد، فحدث يوماً أن تأخر عمر بن عبد العزيز عن الصلاة مع الجماعة فقال صالح بن كيسان ما يشغلك؟ قال: كانت مرجّلتي تسكن شعري، فقال: بلغ منك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة؟ فكتب إلى عبد العزيز يذكر ذلك، فبعث

---

[18] محمد الفقهاء، الجوانب التربوية في حياة عمر بن عبد العزيز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، عمان ص23

أبوه رسولاً فلم يكلمه حتى حلق رأسه، وحرص على التشبه بصلاة رسول الله أشد الحرص، فكان يتم الركوع والسجود ويخفِّف القيام، والقعود وفي رواية صحيحة: أنّه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً، ولمّا حج أبوه ومرّ بالمدينة سأل صالح بن كيسان عن ابنه فقال: ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام، ومن شيوخ عمر بن عبد العزيز الذين تأثر بهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فقد كان عمر يجله كثيراً ونهل من علمه وتأدب بأدبه وتردد عليه حتى وهو أمير المدينة، ولقد عبّر عمر عن إعجابه بشيخه وكثرة التردد إلى مجلسه فقال: لمجلس من الأعمى: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحب إليّ من ألف دينار، وكان يقول في أيام خلافته لمعرفته بما عند شيخه من علم غزير، لو كان عبيد الله حياً ما صدرت إلا عن رأيه ولوددت أن لي بيوم واحد من عبيد الله كذا وكذا، وكان عبيد الله مفتي المدينة في زمانه، وأحد الفقهاء السبعة، قال عنه الزهري: كان عبيد الله بن عبد الله بحراً من بحور العلم[19]، وكان يقرض الشعر، فقد كتب إلى عمر بن عبد العزيز هذه الأبيات:

بسم الذي أنزلت من عنده السور

والحمد لله أمّا بعد يا عمر

إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر

فكن على حذر قد ينفع الحذر

واصبر على القدر المحتوم وأرض به

---

[19] الذهبي: المصدر السابق ، ص475/4.

وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لامرئ عيش يُسرٌّ به

إلا سيتبع يوماً صفوه كدر

وقد توفي هذا العالم سنة 98هـ، وقيل 99هـ.[20]

ومن شيوخ عمر بن عبد العزيز ، سعيد بن المسيب وقد تحدثت عن سيرته في عهد عبد الملك بن مروان وكان سعيد لا يأتي أحداً من الأمراء غير عمر، ومن شيوخه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قال فيه سعيد بن المسيب: كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به وكان سالم أشبه ولد عبد الله به، وكان ابن عمر يحب ابنه سالم وكان يلام في ذلك فكان يقول[21]:

يلومنني في سالم وألومهم

وجلدة بين العين والأنف سالم

كانت أمه أم ولد وقال فيه ابن أبي الزناد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الغُرُّ السادة علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله ففاقوا أهل المدينة علماً وتقىً وعبادة وورعاً، فرعب الناس حينئذ في السراري،[22] وقال عنه الإمام

---

[20] الذهبي: المصدر السابق ،478/4 ، 475.

[21] نفس المصدر : ص479/4.

[22] محمد الفقهاء، المرجع السابق، 460/4.

مالك: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين، في الزهد والفضل والعيش منه، كان يلبس الثوب بدرهمين، ويشترى الشمال ليحملها. قال: فقال سليمان بن عبد الملك لسالم ورآه حسن السّحنة. أي شيء تأكل؟ قال: الخبر والزَّيت، وإذا وجدت اللحم، أكلته. فقال له عمر: أو تشتهيه؟ قال: إذ لم أشتهه تركته حتى أشتهيه ، وذات يوم دخل سالم بن عبد الله على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظة رثَّه، فلم يزل سليمان يرحب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس،

فقال له رجل من أُخريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبس ثياباً فاخرة أحسن من هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ وعلى المتكلم ثياب سريَّة، لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيت هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيت ثياباً هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك وتربي وتعلم عمر بن عبد العزيز على يدي كثير من العلماء والفقهاء وقد بلغ عدد شيوخ عمر بن عبد العزيز ثلاثة وثلاثين، وثمانية منهم من الصحابة وخمسة وعشرون من التابعين،[23] فقد نهل من علمهم وتأدب بأدبهم ولازم مجالسهم حتى ظهرت آثار هذه التربية المتينة في أخلاقه وتصرفاته فامتاز بصلابة الشخصية والجدية في معالجة الأمور والحزم وإمعان الفكر وإدامة النظر في القرآن، والإرادة القوية والترفع عن الهزل والمزاح، هذه هي أهم العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته ومن الدروس المستفاده هو أن العلماء الربانيين يقع على عاتقهم مسؤولية كبيرة وهي الاهتمام

بأولاد الأمراء والحكام وأهل الجاه والمال ففي صلاحهم خير عظيم للأمة الإسلامية[24].

---

[23] الباغندي الصغير: محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الأزدي، أبو بكر الواسطي (المتوفى: 312هـ) مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1985م، صـ33.

[24] وهبة الزحيلي ، عمر بن عبد العزيز ، دار قتيبة، بيروت، ط3 ، 1998م، ص30 .

ثالثاً: مكانته العلمية:

اتفقت كلمة المترجمين له على أنه من أئمة زمانه، فقد أطلق عليه كل من الإمامين: مالك وسفيان بن عيينة وصف إمام، وقال فيه مجاهد: أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمّنا منه، وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز معلمَّ العلماء، قال فيه الذهبي: كان إماماً فقيهاً مجتهداً، عارفاً بالسنن، كبير الشأن، حافظاً، قانتاً لله أوَّاهاً منيباً يعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري وفي العلم مع الزهري، وقد احتج الفقهاء والعلماء بقوله وفعله ومن ذلك رسالة الإمام الليث بن سعد إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما وهي رسالة قصيرة وفيها يحتج الليث . مراراً . بصحة قوله، بقول عمر بن عبد العزيز على مالك فيما ذهب إليه في بعض مسائله، ويرد ذكر عمر بن عبد العزيز في كتب الفقه للمذاهب الأربعة المتبوعة على سبيل الاحتجاج بمذهبه، فاستدل الحنفية بصنيعه في كثير من المسائل وجعلوا له وصفاً يتميَّز به عن جدّه لأمه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال القرشي في الجواهر المضيئة: فائدة يقول: أصحابنا في كتبهم في مسائل الخلاف: وهو قول عمر الصغير. يريدون به عمر بن عبد العزيز الإمام الخليفة المشهور، ويكثر الشافعية من ذكره في كتبهم ولذلك ترجم له الإمام النووي ترجمة حافلة في تهذيب الأسماء واللغات وقال في أولها: تكرر في المختصر والمهذب. وأما المالكية فيكثرون من ذكره في كتبهم أكثر من غيرهم، ومالك إمام المذهب ذكر في ((الموطأ)) محتجاً بفتواه وقوله في مواضع عديدة في موطئه، وأما الحنابلة فكذلك، يذكرونه كثير، وعمر هو الذي قال فيه الإمام أحمد: لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز وكفاه هذا، وكفانا قول الإمام أحمد أيضاً: [25] إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيراً إن شاء الله، ومن أراد

[25] الباغندي الصغير:المرجع السابق ، صـ35.

أن يتبحر في علم عمر بن عبد العزيز ويعرف مكانته العلمية، فليراجع الكتب الآتية: الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة للأستاذ حياة محمد جبر والكتاب في مجلدين، وهي رسالة علمية وكذلك فقه عمر بن عبد العزيز للدكتور محمد سعد شقير في مجلدين وهي رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه، وموسوعة فقه عمر بن عبد العزيز لمحمد رواس قلعجي وسوف نرى في بحثنا فقه عمر بن عبد العزيز بإذن الله تعالى في العقائد والعبادات والسياسة الشرعية، وإدارة الدولة، والنظم المالية والقضائية والدعوية وتقيده بالكتاب والسنة والخلفاء الراشدين في خطواته وسكناته[26].

خلافة عمر بن عبد العزيز:

ومن حسنات سليمان عبد الملك قبوله لنصيحة الفقيه العالم رجاء بن حيوة الكندي الذي اقترح على سليمان في مرض موته أن يولي عمر بن عبد العزيز، وكانت وصية لم يكن للشيطان فيها نصيب، قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز، وكانت سنة وفاته سنة 99هـ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، وكان منقوش في خاتمه: (أؤمن بالله مخلصاً)،[27] وتعددت الروايات في قصة استخلاف سليمان لعمر ، عن عهد سليمان، ومن الروايات أيضاً ما ذكره ابن سعد في طبقاته، عن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضر من خز ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشاب فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب، وهو غلام لم يبلغ فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال

---

[26] أبن الجوزي: المصدر السابق ، ص61 .

[27] الذهبي: المصدر السابق، ص111/5 ، 112.

سليمان: كتاب استخير الله فيه، وانظر، ولم أعزم عليه، فمكث يوماً أو يومين، ثم خرقه ثم دعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت هو غائب بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت. قال: يا رجاء فمن ترى؟ قال: فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أن أنظر من يذكر. فقال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلاً خياراً مسلماً. فقال: هو على ذلك والله لئن وليته، ولم أول أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده . ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم . قال:[28] فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنه ويرضون به، قلت : رأيك قال: فكتب بيده بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله، ولا تختلفوا، فيطمع فيكم. وختم الكتاب فأرسل إلى كعب بن حامد صاحب الشرطة أن مرّ أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل إليهم كعب، فجمعهم، ثم قال سليمان: لرجاء بعد اجتماعهم: أذهب بكتاب هذا إليهم، فاخبرهم، إنه كتابي ومرهم فليبايعوا من وليت. قال: ففعل رجاء، فلما قال لهم ذلك رجاء قالوا: سمعنا وأطعنا لمن فيه، وقالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين، قال نعم. فدخلوا فقال لهم سليمان: هذا الكتاب . وهو يشير لهم وهم ينظرون إليه في يد رجاء بن حيوة . هذا عهدي، فاسمعوا، وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب. قال فبايعوا رجلاً. قال: ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء. قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا المقدام، إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة، وكان بي براً ملطفاً، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلي من هذا الأمر شيئاً، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي، ألا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة. فقال رجاء: لا والله حرفاً واحداً. قال: فذهب عمر

---

[28] الطبري:المصدر السابق، ص445/7، الزهري: المصدر السابق ، ص335/5 . 338

غضبان. قال رجاء: ولقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر، فأعلمني أهذا الأمر إليّ؟ فإن كان إلي علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصر به، ولا نحي عنه هذا الأمر،[29] فأعلمني فلك الله لا أذكر اسمك أبداً. قال رجاء: فأبيت وقلت لا والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسر إلي.، فانصرف هشام..، وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى، وهو يقول: فإلى من إذا نحيت عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ فو الله إني لعين بني عبد الملك قال رجاء: ودخلت على سليمان بن عبد الملك، فإذا هو يموت. قال: فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت، حرفته إلى القبلة، فجعل يقول وهو يفأق: لم يأت ذلك بعد يا رجاء. حتى فعلت ذلك مرتين. فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء، إن كنت تريد شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال فحرفته، ومات، فلما أغمضته سجيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب، وأرسلت إلى زوجته تنظر إليه، كيف أصبح فقلت: نام وقد تغطى، فنظر الرسول إليه، مغطى بالقطيفة فرجع، فأخبرها، فقبلت ذلك وظننت أنه نائم. قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه، ولا يدخل على الخليفة أحداً. قال: فخرجت، فأرسلت إلى كعب بن حامد العنسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت: بايعوا، قالوا: قد بايعنا مرة ونبايع أخرى! قلت: هذا أمير المؤمنين، بايعوا على ما أمر به، ومن سمى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان، رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت قوموا إلى صحابكم فقد مات. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون وقرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام: لا نبايعه أبداً. قال قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع. فقام يجر رجليه. قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر، فأجلسته على المنبر وهو يسترجع، لما وقع فيه، وهشام يسترجع

---

[29] الطبري: المصدر السابق ،ص445/7، الزهري: المصدر السابق ، ص335/5 . 338.

لما أخطاه فلما انتهى هشام إلى عمر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك، قال فقال عمر: نعم، فإنا لله وأنا إليه راجعون، حين صار إلي . لكراهتي له.[30] وقال أبو الحسن الندوي على موقف رجاء بن حيوة: وكان لرجاء مأثرة لا ينساها الإسلام، ولا أعرف رجلاً من ندماء الملوك ورجالهم انتفع بقربه ومنزلته عند الملوك مثل انتفاعه، وانتهز الفرصة مثل انتهازه وأسدى للإسلام خدمة مثله، فرحم الله رجاء بن حيوة فقد رسم منهجاً لمن يجلس مع الملوك من العلماء كيف يعز الإسلام ويذكر الخلفاء بالله وينتهز الفرص المناسبة لخدمة دين الله[31].

---

[30] الطبري:المصدر السابق ، ص445/7، الزهري: المصدر السابق ص335/5 . 338.

[31] أبو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1999م ، ص40/1.

المبحث الثاني

أسس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز

قامت الدولة الإسلامية بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فأدار الدولة بسياسات عامة إسلامية ومنها سياسة المالية العامة ، ولما خلفه الخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم" ساروا على هدية في إدارة المالية العامة للدولة ، ولما خلهم أمراء بني أمية اعترى مسار السياسة المالية بعض التجاوزات ، غير أنه لما تولى عمر بن عبد العزيز "رضي الله عنه" إمارة الدولة الإسلامية جدد سياستها المالية ، وعدل مسارها إلى ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين. [32]

سعى عمر بن عبد العزيز عن طريق العديد من الوسائل لتحقيق هذا الهدف، فقد أوجد المناخ المناسب للتنمية عن طريق حفظ الأمن والقضاء على الفتن، ورد الحقوق لأصحابها، وبذلك باتت الرعية مطمئنة على حقوقها، آمنة في أوطانها كذلك أمر ببناء المرافق العامة، والتي تسمى اليوم بمشاريع البنية التحتية، ولا تقوم التنمية إلا بهذه المرافق الضرورية من وترع ومواصلات وطرق، وقد أكد عمر على مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة بضوابط الشريعة، فانتشر الناس في تجارتهم واثمرت أموالهم واهتم كذلك إهتماماً بالغاً بالزراعة، حيث كان القطاع الزراعي من أكبر القطاعات على المستوى الفردي، وله مردود كبير على ميزانية الدولة وقد جنى عمر والأمة كلها ثمرات هذه السياسة، فقد عمّ الرخاء البلاد والعباد، قال رجل من ولد زيد بن الخطاب: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً وذلك ثلاثون شهراً فما مات حتى جعل

---

[32] أبن عبدالحكم: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ، تصحيح وتعليق: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، ط2، ص127

الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: أجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس.[33]

سعى عمر بن عبد العزيز لتحقيق أهدافه الاقتصادية بوسائل منها:

1 . **توفير المناخ المناسب للتنمية:** وقد عمل عمر على توفير المناخ المناسب للتنمية، وقام بالآتي:

أ . **رد الحقوق لأصحابها:** فتوفرت أجواء الأمن والطمأنينة، وترسخت قيم الحق والعدالة وردّ الحقوق المغتصبة إلى أبناء الأمة وسمّاها مظالم، وقد تحدثت عن سياسته في رد المظالم والحقوق إلى أهلها وذكرت الكثير من المواقف في هذا الشأن.[34]

ب . **فتح الحرية الاقتصادية بقيود:** فقد أكد عمر على مفهوم الحرية الاقتصادية المقيدة، وكتب إلى العمال:(وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدْعى الناس إلى الإسلام كافة وأن يبتغي الناس بأموالهم في البر والبحر ولا يمنعون، ولا يحبسون. وقدم في موضوع آخر) أطلق الجسور المعابر للسابلة يسيرون عليها دون جُعْل، لأن عمال السوء تعدوا غير ما أمروا به.[35] ولم يتدخل عمر بن عبد العزيز في الأسعار، فعن عبد الرحمن بن شوبان قال: قلت لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين ما بال الأسعار غالية في زمانك وكانت في زمان ما قبلك رخيصة؟ قال: إن الذين كانوا قبلي كانوا يكفلون أهل الذمة فوق طاقتهم فلم يكونوا يجدون بُداً من أن يبيعوا ويكسروا ما في أيديهم، وأنا لا أكلف أحداً إلا طاقته،

---

[33] أبن عبدالحكم: المصدر السابق ، ص128

[34] بشير كمال بشير عابدين ، السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك، عمان ، 2003م، ص43

[35] محمد على كرد، الإدارة الاسلامية فى عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 2014م، صـ105 .

فباع الرجل كيف شاء، قال: فقلت: لو أنك سعَّرت، قال: ليس إلينا من ذلك شيء إنما السعر إلى الله،[36] وتشدد عمر في أمر السلع المحرومة ومنع التعامل بها فالخمر من الخبائث التي لا يجوز التعامل فيها بين المسلمين لحرمتها ولضررها حيث يؤدي شربها إلى استحلال الدم الحرام وأكل المال الحرام. ويقول عمر: فإن من نجده يشرب منه شيئاً بعد تقدمنا إليه فيه نوجعه عقوبة في ماله ونفسه ونجعله نكالاً لغيره. وقد أثمرت سياسة عمر في رد الحقوق وإطلاق الحرية الاقتصادية المنضبطة، حيث وفرت للناس الحوافز للعمل والإنتاج، وأزالت العوائق التي تحول دون ذلك وهذا أدى إلى نمو التجارة، وبالتالي إلى زيادة حصيلة الدخل الخاضع للزكاة، وهذا يؤدي بدوره إلى زيادة الزكاة ممّا يؤدي إلى رفع مستوى الطبقات الفقيرة وارتفاع قوتها الشرائية والتي ستتوجه إلى الاستهلاك، وبالتالي إلى زيادة الطلب على السلعة، والخدمات وهذا كله يؤدي إلى انتعاش الاقتصاد وارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الرفاه.[37]

2 . إتباع سياسة زراعية جديدة:

فقد إتبع خطوات ترمي إلى زيادة الإنتاج الزراعي للأمة وإليك تفصيل هذه الخطوات:

أ . منع بيع الأرض الخراجية:

سأل الناس عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان أن يأذنوا في شراء الأرض من أهل الذمة، فأذنوا لهم شريطة أن يضعوا أثمانها في بيت المال، فلما ولي عمر بن عبد العزيز، ترك هذه الأشرية على حالها، وذلك لما وقع فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون

---

[36] بشير كمال بشير عابدين، المرجع السابق، صـ48.

[37] عوف الكفراوي، سياسة الإنفاق العام في الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1989م ص372

ولم يقدر على تخليصه، وكتب كتاباً قريء على الناس سنة المائة: (أن من اشترى شيئاً بعد سنة مائة فإن بيعه مردود وسميت سنة مائة سنة المدة، فتناهي الناس بعدها عن الشراء. ولقد طلب أهل الأرض أن يضع عليهم الصدقة بدل الخراج، فأجاب عمر: إني لا أعلم شيئاً أثبت لمادة الإسلام من هذه الأرض التي جعلها الله لهم فيئاً) قال أبو عبيدة فكأن مذهب عمر بن عبد العزيز في الأرض أنه كان يراها فيئاً، ولهذا كان يمنع أهلها من بيعها. وكتب إلى ميمون بن مهران: (أما بعد، فحُل بين أهل الأرض وبين بيعها ما في أيديهم، فإنهم إنما يبيعون فيء المسلمين. كذلك رفض عمر تحويل الأرض التي دخل أهلها في الإسلام من أرض خراج إلى أرض عشر، وأبقى الخراج عليهم والعشر) وقال: الخراج على الأرض والعشر على الحب. وبذلك حافظ على المورد الرئيس للإنتاج وجعله ملكاً عاماً للأمة بدلاً من تحويله إلى ملكيات صغيرة.[38]

ب . العناية بالمزارعين وتخفيف الضرائب عنهم:

اعتاد بعض الخلفاء الأمويين قبل عمر بن عبد العزيز على إرهاق المزارعين بالضرائب، فكثرت الضرائب وتنوعت، واشتد الأمر على أهل الأرض فهجروها، فخرجت، فأضرّ ذلك بمالية الدولة، ولقد لجأوا إلى أساليب العذاب في الجباية فاضطر المزارعون إلى بيع دوابهم أو كسوتهم لشديد ما عليهم،[39] وعندما تولى عمر سعى إلى إلغاء جميع الضرائب المخالفة للشريعة، وكتب بذلك إلى العمال كتاباً منها: (فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله، وسنة خبيثة استنها عليهم عمال السوء.. ولا تأخذن في الخراج إلا وزن سبعة، ليس لها آيين ولا أجور

---

[38] أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم أبي يوسف ، الخراج ، دار المعرفة بيروت ، 1979م ، ص239

[39] عبد العزيز الدوري، الضرائب في السواد في العصر الأموي، مجلة بحوث ودراسات، العدد 65، عمان، 1988م، صـ57.

الضرابين، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف ولا أجور البيوت. وقد ألغى القبالة وكانت مألوفة في البصرة، وألغى أسلوب الخرص. حيث كان العمال يقدرون الثمار بسعر عالٍ ويقبضونه نقداً، وبذلك يرهقون الزراع، فقرر عمر وضع الضريبة حسب الأسعار الفعلية وكتب لعامله: بلغني أن عمالك بفارس يخرصون الثمار ثم يقومونها على أهلها بسعر فوق سعر الناس الذي يتبايعون ثم يأخذون ذلك ورقاً على قيمتهم التي قوموها)وقد بعثت بشر بن صفوان وعبد الله بن عجلان للنظر في ذلك ورد الثمن الذي أخذ من الناس إلى ما باع أهل الأرض به غلاتهم. ولقد أمر عمر بالغاء ضريبة ثابتة على أهل اليمن، كالخراج مع أن أرضها أرض عشرية، وكتب إلى عامله على اليمن: (أما بعد، فإنك كتبت إليَّ أنك قدمت اليمن فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبة ثابتة في أعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال، أخصبوا أو أجدبوا أو حيوا أو ماتوا، فسبحان الله رب العالمين ثم سبحان الله رب العالمين.)إذا أتاك كتابي هذا فدع ما تنكره من الباطل إلى ما تعرفه من الحق ثم ائتنف الحق فاعمل به بالغاً بي وبك وإن أحاط بمهج أنفسنا، وإن لم ترفع إليّ من جميع اليمن إلا حفنة من كتم، فقد علم الله إني بها مسرور إذا كانت موافقة للحق والسلام.[40] ويلاحظ من كتب عمر إلى عماله الانحرافات السابقة الظالمة وإنكار عمر لها، وقد كان لها أثر اقتصادي سيء حيث جعلت أصحاب الأرض يضعفوا عن أرضهم ويتركوها فضعف الإنتاج وترتب على ذلك خسارة للبلاد ولبيت المال، وأما عمر بن عبد العزيز فكان مصراً على تطبيق الحق وعدم إهتمامه بالكم بل بالكيف، فهو لا يريد إيراداً كثيراً ظالماً، وقد ساهمت إصلاحات عمر في إلغائه للضرائب الجائرة إلى انتعاش اقتصاد الدولة.[41]

---

[40] أبن عبد الحكم: المصدر السابق، صـ126.

[41] بشير كمال بشير عابدين ، المرجع السابق ، ص52

ج . الإصلاحات والإعمار وإحياء أرض الموات:

شجع عمر على إحياء الأرض الموات وعلى إصلاح الأراضي للزراعة، وكتب بذلك إلى عامله على الكوفة: (لا تحمل خراباً على عامر ولا عامراً على خراب، انظر إلى الخراب فخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض.)[42] وكتب عمر: من غلب الماء على شيء فهو له، وعن حكيم بن زريق قال: قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبي من أحيا أرضاً ميتة ببنيان أو حرث، ما لم تكن من أموال قوم إبتاعوها من أموالهم، أو أحيوا بعضاً وتركوا بعضاً، فاجز للقوم أحياءهم الذي أحيوا ببنيان أو حرث، وحرص عمر على استغلال أرض الصوافي، ورأى أن ملكيتها لبيت المال، ومنع الإقطاع منها وأمر بإعطائها مزارعة على النصف فإن لم تزرع فعلى الثلث، فإن لم تزرع فأمر بإعطائها حتى تبلغ العشر فإن لم يزرعها أحد فأمر بمنحها، فإن لم يزرعها أحد فأمر بالإنفاق عليها من بيت المال. وقد اهتم عمر بالمزارعين ورفع الضرر عنهم ويروى في ذلك أن جيشاً من أهل الشام مر بزرع رجل فأفسده، فأخبر الرجل عمر بذلك، فعوضه عشرة آلاف درهم، وكان يقدم القروض للمزارعين، فقد جاء في رسالته لواليه على العراق: أن انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين.[43]

---

[42] أبوالقاسم: القاسم بن سلام بن عبيد، الأموال، تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الفكر للطباعة، ط2، 1988م، صـ57

[43] عصام هشام عيدروس الجفري ، التطور الاقتصادي في العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، الرياض، 2006م، ص202

د . عمر والحمى :

منع عمر الحمى الخاص وأباح هذه الأراضي للمسلمين جميعاً، لا تختص بها طائفة على أخرى وفي ذلك يقول: ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة، وكانت تحمى وتجعل فيها نعم الصدقات، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس، فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيراً، إذا كان ذلك من أمرها، وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين، وإنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء، وعندما أباح الإحماء كلها استثنى النقيع الذي حماه الرسول عليه الصلاة والسلام لإبل الصدقة. فبالحمى تصبح الأرض لجماعة المسلمين، ونفعها مصروف لهم، فالحمى نقل الأرض من الإباحة إلى الملكية العامة، لتبقى موقوفة على جماعة المسلمين.[44]

هـ . توفير مشاريع البنية التحتية:

سعى عمر بن عبد العزيز لتوفير هذه المشاريع منذ كان أميراً على المدينة حتى أصبح خليفة للمسلمين، فاهتم بالمشاريع التي تخدم التجار والمزارعين والمسافرين وعندما كان والياً على المدينة كتب إليه الوليد بن عبد الملك كتاباً في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في المدينة فحفر منها بئر الحفير وكانت طيبة الماء. كذلك عمل عمر بأمر الوليد فوّارة ماء، وأجرى ماءها ووسع المسجد النبوي ورفع منارته وجوّف محاربيه، وأنشأ الخانات والفنادق ودار الضيافة للحجاج والمسافرين. كما استمر حفر خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر لتسهيل نقل الطعام من مصر إلى مكة حتى أيام عمر بن عبد العزيز. وكتب إليه عامله على البصرة يعرض طلب أهلها بحفر نهر لهم، فأذن له عمر وحفر النهر، وسمي نهر عدي.[45]

---

[44] أبن عبد الحكم: المصدر السابق، ص98 .

[45] بشير كمال بشير عابدين ، المرجع السابق ، ص55 .

سياسة الإصلاح الاقتصادي والمالي:

ارتبطت سياسة الإصلاح المالي في عهد عمر بن عبد العزيز بسياسته لإصلاح المسار الاقتصادي فأذاع تعليمات وأقوال عامة لتحقيق المبادئ التالية منها أنه فتح باب الهجرة للجميع فقد كتب عمر بن عبد العزيز لولاته قائلا (افتحوا للمسلمين باب الهجرة). إذ أن الهجرة تؤدي إلى تحقيق استثمار الأراضي الجديدة وإمكانية تعمير المدن الحديثة. وقد أمر الله جل وعلا الناس بالسعي والهجرة. فقال سبحانه وتعالى:(وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً)(سورة : النساء 100)1

وقال جل وعلا (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ) (سورة: الملك 15)

كما أطلق حرية التجارة والمعايش فقد قال عمر بن عبد العزيز (إن البر والبحر لله جميعَا سخرها لعباده يبتغون فيها من فضله فكيف تحول بين عباد الله وبين معايشهم). ففتح طريق البحر للتجارة الحرة ووضع الضرائب المتصلة بها[1].

مستشهدًا بقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) (سورة : الجاثية 12)

ثم أنه أعلن حرية العمل والعمال وإلغاء السخرة وأن حرية العمل هي حق الإنسان أن يتخير من العمل ما يشاء، وقد اعتنق عمر بن عبد العزيز هذه السياسة والزم بها عماله فأرسل لهم التعليمات التالية: (ليكن لكل عمل أجره فضعوا السخرة عن الناس)[46]. وفي مجال الزراعة

1 خالد محمد خالد : المرجع السابق ، ص 175

[2] أبن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 68

فقد وجه عمر بن عبد العزيز بأن المزارع للجميع وبهذا يقول عمر بن عبد العزيز لولاته: (إنما جعلت المزارع لأرزاق المسلمين كافة

فردوها لما جعلت)[47]. ومن سياساته في الإصلاح الاقتصادي كذلك عدم التدخل في الأسعار فيذكر أنه عندما ارتفعت الأسعار في عهد عمر بن عبد العزيز، طالب البعض بتحديد الأسعار فأبى تمسكًا بسياسة الحرية الاقتصادية وكما أنه كان لا يكلف أهل الذمة فوق طاقتهم.2

---

[47] أبن عبد الحكم: المصدر السابق ،ص .83

2 بشير بن كمال : المرجع السابق ،ص 120.

الفصل الثانـي

الإصلاح المالي للموازنـة العامة للزكاة

المبحث الأول

الإصلاحات المالية في عهد عمر بن عبد العزيز

شهد المجتمع الإسلامي قبل خلافة عمر بن عبد العزيز عدة أحداث سياسية واجتماعية، أثرت سلبا على توجهه في جميع المجالات: الإدارية والاقتصادية والفكرية، فظهرت على الواقع سلوكيات شاذة من الحكام والمحكومين على السواء، لا تمت إلى الإسلام بصلة، وهو منها براء فعزم عمر على تغيير ذلك الواقع بالرجوع إلى هدي السلف الصلاح وخاصة جده الفاروق.[48]

إن الإصلاح الذي تنقلب فيه الأمور رأسا على عقب ليس أمرا سهل فأصحاب الامتيازات يتمسكون بامتيازاتهم، وعادات الناس المكتسبة وتقاليدهم الموروثة لا تبدل بجرة قلم، أو بحياة خليفة يخالفها الرأي، ولكن عمر نجح حيث كان مقدرا له الفشل، انتزع أسمه بين حكام بني أمية ليضاف إلى قائمة الخلفاء الراشدين ويقارن بهم[49].

ولذلك عد ما قام به من قبيل التجديد الذي بشر به (النبي صلى الله عليه وسلم) في حديثه الشريف، ان الأمة تحتاج إلى من يذكرها بمقومات مجدها وعزها، ويرتقي بها في مدراج التطوير والسيادة، وهذا ما عبر عنه أحد معاصري، عمر بن عبد العزيز وهو ميمون بن مهران حين ذكر: "أن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي، وأن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز"، وعده حسن البصري: المهدي المنتظر، فقال إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز وإلا فلا مهدي إلا عيسى بن مريم"[50].

---

[48] بشير كمال بشير عابدين، المرجع السابق، صـ55.

[49] أنور الرفاعي، الإنسان العربي والتاريخ، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص 260

[50] السيوطي: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار صادر ، بيروت ، 1997م، ص 186-187.

لقد وجد الأمة الإسلامية في حالة من الجهل والظلم والانحراف ما هز كيانه وجعله يعزم على إصلاحها في كل المناحي ولكنه آثر قبل ذلك أن يبدأ بنفسه ليكون قدوة لغيره2.

يعتبر الإسلام المال عصب الحياة وقوامها، وضرورة من أهم الضرورات، التي يبنى عليها اقتصاد الأمة.

ولقد جاءت النصوص الشرعية لتحفظ المال من كل ما يفسده، إن على مستوى الكسب أو على مستوى الإنفاق والصرف.

- قال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[51]، وفي معنى هذه الآية الكريمة يقول أبن كثير: "ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي تقوم بها معايشهم من التجارات ومن ههنا يؤخذ الحجر على السفهاء"[52]. وفي إعطاء الأموال لمن لا يحسن التصرف يعد شرعا وعقلا من قبيل التبذير والإفساد.

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[53]، وفي النص الكريم دعوة إلى كسب المال من أهم وأفضل الوجوه المشروعة، وهو العمل وبذل الجهد، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده)[54].

---

[51] سورة النساء، الآية 5

[52] محمد علي الصابوني، مختصر تفسير أبن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج1، 1981م، ص 358.

4 انور الرفاعي : المرجع السابق ، ص 160.

[53] سورة الجمعة، الآية 10.

[54] البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري: كتاب البيوع – باب كسب الرجل وعمله بيده، دار الفكر، بيروت، ج 2، 1991م، ، ص 730، رقم 1966.

3 بشير كمال : المرجع السابق ، ص 200.

إذن فالإسلام يشجع على تعمير الأرض بكل النشاط التجاري منه والصناعي والزراعي، وكذا الفكري الذي يعده الإسلام أعظم وأقدس أنواع الإنفاق، ومن أحسن ممن يجهد فكره وعقله في هداية الناس إلى الحق وكشف الغوامض لهم.3

وقد فقه الصحابة الكرام وتابعوهم عن ربهم ونبيهم هذه الإرشادات العظيمة فمشوا في مناكب الأرض يتجرون ويزرعون ويعمرون، فلم تمض سوى أعوام قليلة بنوا أعظم دولة، دانت لها ممالك الأرض جميعا.4

ولكن الذي يؤسف له في هذا أن جل حكام بني أمية قد انحرفوا عن هدي السلف الصالح، فجعلوها هرقلية كسروية، واتخذوا الأبهة والترف والسرف المالي مظاهر الملك، وتوارث القوم هذه العادات الخبيثة، وكان منهم عمر بن عبد العزيز نفسه، الذي رأيناه –قبل خلافته– يسرف في الإنفاق حتى خشي أن يعجز ماله عن كسوته ومعيشته.

إن المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ﴾1، (والنظام المالي في الإسلام ينظم لإيرادات الدولة في حدود نفقاتها العامة، لمسايرة الحاجات المادية للمجتمع الإسلامي، تحقيقا للعدالة الاجتماعية في شتى صورها ومختلف مجالاتها، باعتبارها هدفا أسمى للنظام)[55]. وقد نظر عمر بن عبد العزيز إلى المال على أنه أمانة يجب أداؤها إلى مستحقيها، فكان مع رعيته كولي الطفل العزيز المحضون، يعتبر ماله وديعة لا ينفق منه إلا عن ثقة ويقين. واتخذ في سبيل تحقيق ذلك إجراءات حاسمة وحازمة2

---

4 البخاري : المصدر السابق ، ص 358.

1 سورة الحديد ، الأية 7.

2 الزهري : المصدر السابق ، ص 105 .

3 ابن كثير : المصدر السابق ، ص 193.

[4]جمال عمارة، النظام المالي في الإسلام، مؤسسة النبأ، الجزائر، 2007م، ص9

فنجد أن أول ما بدأ به أن باع ما زاد على نفقات الدولة ثم ردها على بيت المال ومن ذلك : الأثواب والستور التي كانت تبسط للخلفاء قبله، وكذا مراكب الخلافة، واكتفى ببغلته الشهباء، وقال لمزاحم: "هذه البراذين والخيل وهذه السرادقات والحجر وهذه الفرش والرياش، ضمها إلى بيت مال المسلمين[56]، واكتفى بالقليل الضروري.3

ولما أن رأى أن المال الذي أنفق على بناء المسجد الأموي لم يكن في موضوعه المشروع، وأن خزينة المسلمين قد تأثرت من وراء ذلك، هم أن يتدارك هذه الخسائر فينزع الفسيفساء ويكتفي بالحبال عن السلاسل الذهبية، التي علقت فيها المصابيح، ولكن الذي أثناه عن عزمه ذاك، ما قاله أحد زوار المسجد الأموي من النصارى الروم، حين رأى إلى عظمة هندسته: "إنا معشر أهل رومة نقول أن بقاء العرب قليل، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة لا بد أن يبلغوها". ولما اتصل هذا بمسامع عمر قال: "إني أرى مسجدكم هذا غيظ على الكفار وترك ما عزم عليه"[57].

إن فقه الموازنة لديه جعله يرجح ذلك الرأي، الذي كان سديدا إلى أبعد الحدود، فربما طمع الأعداء في بلاد المسلمين فانتهبوها، وحين ذلك لا يكون هناك داع للحديث عن المال والاقتصاد2.

---

[5]عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ، ص322-323.

[57] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ج1، 2011م، ص .527

2 حميدي شاهين : الدولة الآموية المفتري عليها ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ص 201.

3 عبد العزيز الحميدي : الأمام الزاهد الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، الأسكندرية ، 1425هـ _ 2004م ، ص 312.

4 السيوطي : المصدر السابق ، ص 190 .

ومن أجل تخفيف نفقات بيت المال عمد عمر إلى إعفاء كثير من الحرس والشرطة، وكانوا ستمائة رجل، كلهم كانوا في خدمة القصر الملكي، وقال لهم: "إن لي عنكم بالقدر حاجزا، وبالأجل حارسا، من أقام منكم فله عشرة دنانير، ومن شاء فليلحق بأهله"3.

وقضى على المهرجانات التي تكلف الخزينة أموال ضخمة، ومن ذلك مهرجان سباق الخيل، والذي كان بنو أمية يقيمونه في عاصمة الخلافة دمشق، وكان أصحابها يقدمون بها من أقطار بعيدة، ولم يسمح إلا بواحدة منها حين تكلف أصحابها في جلبها أول مرة4

واتبع سياسة التقشف فيما يخص النفقات الحكومية، في الإدارة وغيرها، مثل الإنارة الخاصة بالولاة والكتابة على الأوراق، المتعلقة بالرسائل والتعليمات الإدارية وغيرها، ولذلك رفض تزويد والي المدينة المنورة بالقراطيس والشمع الكثير حين طلب إليه ذلك، وقال له: "أدق قلمك، وقارب بين سطورك، واجمع حوائجك، فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به والسلام". أما فيما يخص الشمع، فقد كتب إليه:

"...وجاء في كتابك تذكر أن من كان قبلك من أمراء المدينة كان يجري عليهم رزق من شمعه، ولعمري يا أبن أم حزم، لطالما مشيت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمة، لا يمشى بين يديك بالشمع، ولا يوجف خلفك أبناء الأنصار، فارض لنفسك اليوم ما كنت ترضى به قبل اليوم"[58].

واتبع عمر سياسة رشيدة في الإنفاق، فبدأ بأصحاب الحاجات وأهل الضرورة فلما أن انتعش بيت المال، زاد أرزاق الناس وأعطياتهم، ولم يبخل عليهم بما فتح الله به من النعمة والخير الكثير، ولعل هذا مما استفاده من عمه عبد الملك ومن الصحابي الجليل عبد الله بن

---

[58] الجوزي: المصدر السابق ، ص 121.

2 البخاري : المصدر السابق . ص 103.

الزبير، ذلك أن الأول كان سخيا بالمال، فلم يضن به على الرعية، فطال ملكه وحمده الناس، وأما الثاني فلبخله بالمال زال ملكه سريعا، وانفض عنه الناس، بل وتمالئوا عليه مع بني أميه فخلعوه ثم قتلوه [59]

ولم يكن يهم عمر في سبيل ذلك أن يفرغ بيت المال، مادام أنه يصرف في وجوهه المشروعة، فقد (كتب إليه بعض عماله: إنك أضررت ببيت المال، فقال عمر: أعط ما فيه فإذا لم يبق فيه شيء فأملأه زبلا)، وكتب إلى عماله في هذا الشأن أن: "فادوا بأسارى المسلمين وإن أحاط ذلك بجميع مالهم"، وهذا يدل على لطفه وعطفه برعيته1[60]

ورصد لمن يساهم في إصلاح المجتمع الإسلامي بقول أو عمل، ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار: مكافئة له [61].

لم تكن سياسة عمر المالية ارتجالية فهو مسئول عن دولة وكان يحسب حساباً لكل خطوة يخطوها ويضع الضمانات لكل عمل يعتزم تنفيذه ولقد سار في سياسته على عدة أمور منها[62]:

. العزم على الاعتصام بالكتاب والسنة، والتضحية قي سبيل ذلك، وهذا ما يبدوا واضحاً من كتبه للعمال وخطبه إلى رعيته ومثال ذلك قوله: سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها4.

---

[59] – السيوطي . المصدر السابق ، ص 76.

[60] – الجوزي ، المصدر السابق ، ص 125.

[61] – بشير كمال بشير عابدين ، المرجع السابق ، ص 27.

[62] – ابن الحكم : المصدر السابق ، ص 38.

. ترسيخ قيم الحق والعدل ودفع الظلم: وهذا هو أساس سياسة عمر، فجميع الأهداف والوسائل التي اتبعها كانت تنسجم مع هذا الأساس، وإحقاق الحق ودفع الظلم هو أصل من أصول الشريعة، ومقصد رئيسي من مقاصدها قال تعالى: **((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ))** يقول ابن القيم: فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة. ولقد كان عمر يرجع للحق إذا تبين له الخطأ، ويقول في ذلك: ما من طينة أهون عليّ فتّاً ولا كتاب أيسر عليّ رداً من كتاب قضيت به، ثم أبصرت أن الحق في غيره ففتتها[63].

أهداف السياسة الاقتصادية عند عمر:

1 . إعادة توزيع الدخل والثروة بشكل عادل:

لقد سعى عمر بن عبد العزيز لإعادة توزيع الدخل والثروة بالشكل العادل، الذي يرضى الله تعالى ويحقق قيم الحق والعدل والظلم، والتي وضعها عمر نصب عينيه فقد كان يراقب الانحرافات السابقة قبل خلافته ويلاحظ آثارها السلبية على نفوس الرعية ولقد انتقد سياسة سليمان بن عبد الملك التوزيعية

---

1 سوره الحديد الأية 25.

2ابن الجوزي: المصدر السابق ، ص113 .

فقال له: لقد رأيتك زدت أهل الغنى وتركت أهل الفقر بفقرهم[64]. فقد أدرك عمر بن عبد العزيز أن التفاوت الاجتماعي هو نتيجة لسوء توزيع الثروة، فرسم سياسته الجديدة لإنصاف الفقراء والمظلومين ولقد استخدم عمر للوصول إلى هذا الهدف بعض الوسائل العملية منها:

- منع الأمراء والكبراء من الاستئثار بثروة الأمة، ومصادرة الأملاك المغصوبة ظلماً، والتي استولى عليها الأمراء والكبراء، وإعادة هذه الأموال إلى أصحابها إذا عرفوا أو إلى بيت المال، إذا لم يعرف أصحابها، أو كانت من الأموال العام2.
- زيادة الإنفاق على الفئات الفقيرة والمحرومة ورعايتها وتأمين مستوى الكفاية لها عن طريق الزكاة وموارد بيت المال الأخرى. وقد قام بتنفيذ هذه السياسة، كما مرّ معنا في سياسته في رد المظالم ولقد كانت سياسة عمر التوزيعية تهدف على إيصال الناس إلى حد الكفاية: يلاحظ ذلك من خطبه، فقد خطب الناس يومياً فقال: وددن أن أغنياء الناس اجتمعوا فردوا على فقرائهم حتى نستوي نحن وهم وأكون أنا أولهم.3 وفي خطبة أخرى:.. ما أحد منكم تبلغني حاجته إلا حرصت أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه وما أحد لا يسعه ما عندي إلا وددت أنه بُدِئ بي وبلحمتي الذي يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم وقد طبق عمر هذا التطور علمياً عندما أمر بقضاء دين الغارمين فكتب إليه عامله: إنا نجد الرجل له المسكن والخادم، وله الفرس والأثاث في بيته، فأجاب عمر: لا بدّ للرجل من المسلمين من مسكن يأوي إليه رأسه وخادم يكفيه مهنته، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأثاث في بيته، فهو

1حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص 98.

2ابن الحكم : المصدر السابق ، ص .135

3 محمد علي كرد المرجع السابق ، ص 103.

غارم فاقضوا عنه، فسياسة عمر التوزيعية تهدف إلى كفاية الناس من حيث المسكن والمركب والأثاث، وهي عبارة عن حاجات أساسية، وضرورية للإنسان تصعب الحياة بدونها[65].

2 . تحقيق التنمية الاقتصادية والرفاه الإجتماعي:

سعى عمر بن عبد العزيز عن طريق العديد من الوسائل لتحقيق هذا الهدف، فقد أوجد المناخ المناسب للتنمية عن طريق حفظ الأمن والقضاء على الفتن، ورد الحقوق لأصحابها، وبذلك باتت الرعية مطمئنة على حقوقها، آمنة في أوطانها كذلك أمر ببناء المرافق العامة، والتي تسمى اليوم بمشاريع البنية التحتية، ولا تقوم التنمية إلا بهذه المرافق الضرورية من أنهار وترع ومواصلات وطرق، وقد أكد عمر على مبدأ الحرية الاقتصادية المقيدة بضوابط الشريعة، فانتشر الناس في تجارتهم وتثمير أموالهم واهتم كذلك إهتماماً بالغاً بالزراعة، حيث كان القطاع الزراعي من أكبر القطاعات على المستوى الفردي، وله مردود كبير على ميزانية الدولة وقد جنى عمر والأمة كلها ثمرات هذه السياسة، فقد عمّ الرخاء البلاد والعباد،[66] قال رجل من ولد زيد بن الخطاب: إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً وذلك ثلاثون شهراً فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: أجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده، فيرجع بماله قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس3.

1بشير كمال بشير عابدين ، المرجع السابق ، ص38 .

2 المرجع نفسه : ص 41.

3ابن الحكم : المصدر السابق ، ص .128

المبحث الثاني

الإصلاح المالي لنفقات موازنة الزكاة وخمس الغنائم

إن السياسة المالية بإراداتها ونفقاتها تعتبر أداة هامة لتحقيق الأهداف الاقتصادية، لذلك بدأ عمر سياسته المالية بزيادة الإنفاق على عامة الشعب، فأنفق في رد المظالم حتى أنفذ بيت مال العراق، وجلب إليه من الشام،[67] وأنفق على المشاريع الزراعية، ومشاريع البنى الأساسية، كما أنفق على الرعاية الاجتماعية لجميع طبقات الشعب وفي جانب الإيرادات، سعى إلى إلغاء الضرائب الظالمة، فرفع الجزية عمن أسلم، وألغى الضرائب الإضافية التي كانت تؤخذ من المزارعين، وألغى المكوس والقيود، كما حافظ على حقوق بيت المال المسلوبة، فأعاد إليه القطائع، والمظالم، وأوقف إمتيازات الأمراء والموظفين، وبالغ في الاقتصاد في الإنفاق الإداري والحربي،[68] كل ذلك أدى إلى إطلاق الطاقات، فنمت الزراعة والتجارة، وجنى ذلك بزيادة ونمو الإيرادات، فزادت إيرادات الزكاة والخراج والعشور وفاضت ميزانية الدولة، فوجّه عمر الفائض لزيادة الإنفاق العام لتحقيق الأهداف الإقتصادية ونلاحظ في التاريخ كلما استقام أمر الدولة وسارت على نهج الشريعة الإسلامية الغرّاء فاض ميزانها المالي، ولم يشعر أفرادها بعسف ولا إرهاق، ولم تهمل مصلحة من مصالحها، وكلما أعوج أمر الدولة، وحادت عن سبيل الشريعة، اختل التوازن المالي، فميزانية الدولة مرآة عدلها وجورها ونظامها وفوضاها[69].

أولاً: الإصلاح المالي لنفقات:

اهتم عمر بالزكاة وحرص عليها لأنها حق فرضه الله للفقراء والمساكين والمنقطعين، والمستعبدين، ولا يجوز التهاون فيه، واهتمّ بتوزيعها على مستحقيها، فأمر ولاته بالبحث عنهم

---

[67] أبن عبد الحكم: المصدر السابق ، صـ129 .

[68] بشير كمال بشير عابدين، المرجع السابق، ص 58. .

[69] المرجع نفسه ، ص58 .

وإعطائهم حقهم وفي حالة عدم وجود فقراء أو مساكين أو محتاجين وأمر عمر بشراء رقاب المستعبدين وإعتقاهم من مال الزكاة. وعزم عمر على إتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة وكان الولاة قبله قد تهاونوا فيها، فأخذوها من غير حقها، وصرفوها في غير مصارفها،[70] ومن مظاهر إتباعه للسنة فيها طلبه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات، ولكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وأمره بأن تنسخ هذه الكتب فنسخت له وكانت تشتمل على صدقة الإبل والبقر والغنم، والذهب، والورق، والتمر، والحب، والزبيب وبيّنت الأنصبة لكل هذه الأصناف واتبع عمر السنة في مصارف الزكاة، فاستشهد بقوله تعالى: ((إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)) [71]. ثم أمر أن توضع الصدقات كما أمر الله تعالى في كتابه، كما اتّبع عمر السنة في جباية الزكاة فعين عمالاً ثقاة مؤتمنين وأمرهم بجبابتها دون ظلم أو تعدٍّ وأمرهم بكتابة براءة إلى الحول لدافعها. وأمر عمر بأخذ الزكاة من جميع الأموال التي تجب فيها، فأخذت من عطاء العمال ومن المظالم إذا رُدّت لأصحابها، ومن الأعطية إذا أخرجت لأهلها. وأكد عمر على أحقية كل قوم بزكاتهم إذا لم يستغنوا،[72] وعندما أحضر العمال الزكاة إلى عمر أمرهم بردّها وتوزيعها في البلاد التي جمعت منها. وكانت لهذه الإصلاحات الاقتصادية في جباية الزكاة أثر على زيادتها ولقد ساهمت سياسته الاقتصادية إلى زيادة تحصيل الزكاة، فتوفيره لأجواء الأمن والطمأنينة، واهتمامه بإقامة المشاريع، الأساسية للزراعة والتجارة وأتّباعه لسياسة الحرية الاقتصادية المقيدّة، وإلغاؤه للضرائب الظالمة، أدّت جميعاً إلى ازدهار التجارة والزراعة وإلى زيادة

---

[70] أبن الجوزي:المصدر السابق ، صـ129.

[71] سورة التوبة : الأية 60

[72] أبن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 2010م، ص322/3.

حصيلة الزكاة، ولقد كان عمر من الموسعين لإيتاء الزكاة برز هذا من خلال فقهه في زكاة الثروة الزراعية، وزكاة الإبل العامة، وزكاة السمك، وزكاة العسل، وهذا الفقه من شأنه أن يزيد الأموال الخاضعة للزكاة، مما يؤثر على زيادة جبايتها وأما زيادة الدعوة زمن عمر، ودخول أهل الذمة في الإسلام أفواجاً فالراجح أنه رفع من حصيلة الزكاة، لأن هؤلاء المسلمين الجدد فيهم الأغنياء وفيهم الفقراء، وسيدفع الأغنياء حقاً مفروضاً عليهم وهو الزكاة وأما سيرة عمر وتقواه فقد أثرت على دفع الزكاة للدولة مباشرة لزيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم وهذا واضح من تدافع الناس لأداء الزكاة عندما سمعوا بخلافة عمر، وهذا يؤدي إلى زيادة حصيلة أموال الزكاة وزيادة آثارها الاقتصادية عند إنفاقها في مصارفها. وتؤكد الروايات التاريخية أن الزكاة كانت فائضة عن حاجات الناس في ذلك الزمن، فكان الرجل يأتي بزكاته، فلا يجد من يأخذها، ومن أسباب هذا الفائض اندفاع أفراد المجتمع للعمل والإنتاج، فكثر عدد المؤدِّين للزكاة، وانخفاض عدد القابضين لها[73].

ثانياً: خمس الغنائم:

الغنائم في اللغة : جمع غنيمه وهي من الغنم هو الفوز بالشي

فالغنيمة في الإصطلاح: ما استولى عليه من أموال الكفار المحاربين عنوة وقهراً حين القتال، والفيء في الإصطلاح: كل مال وصل من المشركين من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب،[74] فعندما تولى عمر الخلافة توجه لإصلاح الأوضاع الداخلية للدولة لذلك لم تكثر الفتوحات في ومنه حيث استعاض عنها بالدعوة والقدوة الحسنة، فقد بعث بكتب للملوك والشعوب فدخل البربر في الإسلام بدون قتال، ولهذا لم تتحقق موارد كثيرة من خمس الغنائم زمن عمر،

---

[73] بشير كمال بشير عابدين ، المرجع السابق ، ص69 .

[74] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، 2010م، ص199.

وما كان موجوداً في بيت المال منه كان مصدره الفتوحات السابقة. ومع ذلك فقد سعى لإصلاح موازنة خمس الغنائم، فقد جعل للخمس بيت مال مستقل عن الأموال الأخرى،وأمر بوضعه في مواضعه المذكورة في سورة الأنفال، وآثر به أهل الحاجة منهم حيث كانوا. وقد أمر بعشرة آلاف دينار من سهم ذوي القربى فقسمها في بني هاشم وساوى بين الذكر والأنثى، والصغير والكبير، فكتبت إليه فاطمة بنت الحسين تشكر له ما صنع وتقول: يا أمير المؤمنين قد أخدمت من كان لا خادم له واكتسى منهم من كان عارياً، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق،[75] ولقد تمسك عمر في حق الخمس، فلما فتحت الأندلس قبل خلافة عمر لم يخمسوها، فأمر عامله عليها أن يبين العنوة من أرضها ويأخذ منها الخمس. وأما في تصرفه في الفيء، فقد كان متبعاً للقرآن والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، فقد كتب كتاباً ذكر فيه عن الأموال والقرى التي أفاء الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب واستدل بآيات سورة الحشر التي نزلت في ذلك، وبين أن ما من أحد من المسلمين إلا له حق في الفيء، فقد ذكرت الآيات المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم من المسلمين بعد الهجرة الأولى حتى تنقضي الدنيا.[76] وهو بذلك كان موافقاً لاجتهاد عمر بن الخطاب في جعل الفيء موقوفاً على أجيال المسلمين. ونظر عمر في مصارف الخمس فوجدها موافقة لمصارف الفيء، فرأى أن يضمه إليه كما فعل عمر بن الخطاب، ويصرف منها على جميع مصالح المسلمين، وكتب في ذلك كتاباً: ..وأما الخمس فإن من مضى من الأئمة اختلفوا في موضعه .. ووضع مواضع شتى فنظرنا فإذا هو على سهام الفيء في كتاب الله لم تخالف واحدة من الاثنتين الأخرى، فإذا عمر بن الخطاب رحمه الله قد قضى في الفيء قضاءً قد رضي به المسلمون، فرض للناس أعطية وأرزاقاً جارية

---

[75] الزهري: المصدر السابق ، ص390/5.

[76] أبن الحكم: المصدر السابق ص97.

لهم، ورأى أن لن يبلغ بتلك الأبواب ما جمع من ذلك، ورأى أن فيه لليتيم والمسكين، وابن السبيل، فرأى أن يُلحق الخمس بالفيء وأن يوضع مواضعه التي سم الله وفرض... فاقتدوا بإمام عادل فإن الآيتين متفقتان آية الفيء وآية الخمس... فنرى أن يُجمعا جميعاً فيُجعلا فيئاً للمسلمين ولا يستأثر عليهم. لقد ساعدت إصلاحات عمر في إيرادات الخمس والفيء على تحقيق أهداف سياسته الاقتصادية، فتوزيعه للخمس على الأسهم المذكورة في القرآن مع إيثاره لذوي الحاجة أينما وجدوا ساعد على تحقيق إعادة توزيع الدخل والثروة، وشعر الناس بالعدل وزوال الظلم، بسبب هذه السياسة الرشيدة السديدة.[77]

---

[77] أبوالقاسم: المصدر السابق ، ص838.

الفصل الثالث

الإصلاح المالي لإيرادات موازنة الجزية والخراج وعشور التجارة

المبحث الأول

الإصلاح المالي لإيرادات الجزية

أولاً: تعريف الجزية في الاصطلاح :

الجزية هي ضريبة تؤخذ من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام، والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع.[78]

تعريف الجزية في اللغة :

اسم مشتق من الجزاء ، إما جزاءً على كفرهم لأخذها منهم صغاراً ،وإما جزاءً على أماننا لهم فتؤخذ منهم رفقاً.[79]

الأساس الذي فرضت بناءً عليه الجزية:

يمكن إجمال الأغراض التي من أجلها فرضت الجزية على أهل الكتاب بالأمور الثلاثة الآتية-:

1. إما جزاء على كفرهم فأخذها منهم صغاراً.
2. إما جزاء الأمان الذي يكفله المسلمون لأهل الذمة.
3. المساهمة في التكاليف والأعباء المالية للدولة على اعتبار أن أهل الذمة من رعايا الدولة الإسلامية ويتمتعون بما توفره الدولة لرعاياها من خدمات3

---

[78] ابن قدامه، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي متوفي (620هـ)، المغنى، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة، 1990م، ص557.

[79] الماوردي: المصدر السابق ص.142

3 أبو القاسم : المصدر السابق ، ص 98.

ويمكن تفصيل الجزية على النحو التالي:

1/ الجزية جزاء على الكفر

المقصود بذلك تمييز الضريبة التي تؤخذ من غير المسلمين ،وهذا واضح في تعريف الفقهاء للجزية.

وأداء الذمى للجزية معناه صدقه في ولائه للدولة الإسلامية الخاضع لها ،وهذا هو المقصود من أخذها منهم صغاراً ،وقد جاء في معنى صاغرين تأويلات أحدها : أذلاء مستكينين. والثاني : أن يجري عليهم أحكام الإسلام فيجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب يقروا بها في دار الإسلام.[80]

والذي نميل إليه هو المعنى الثاني فليس المقصود إذلال أهل الذمة بل إخضاعهم لحكم الإسلام وهذا ما ذكره الشافعي في معنى وهم صاغرون أن يجري عليهم حكم الإسلام فيخضعون له.[81]

2/ الجزية نظير الحماية وتوفير الأمن لأهل الذمة:

أكثر الفقهاء يرون أن الأساس الذي من أجله فرضت الجزية على أهل الذمة هو تمتعهم بالحماية والأمن في دولة الإسلام التي أصبحوا بهذا العقد من رعاياها.

يقول القرطبي :" والغرض من الجزية على أهل الكتاب حمايتهم والدفاع عنهم ، فإن لم يتمكن المسلمون من حمايتهم فإنها تسقط عنهم،كما تسقط عمن شارك في القتال مع المسلمين .82

---

80 الماوردي: المصدر السابق ، ص143.

81 الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، كتاب الأم، ج4، دار المعرفة، بيروت، 1990م، ص176.

82 القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج8، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، 1999م، ص114 .

ويقول الماوردي " ويلتزم لهم ببذلها حقان : أحدهما الكف عنهم ،والثاني الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين.[83]

ويستدل الفقهاء على قولهم هذا بما جاء في المعاهدات التي تمت بين المسلمين وأهل الذمة أثناء الفتوحات الإسلامية.

3/ الجزية مساهمة من أهل الذمة في نفقات الدولة وبالذات نفقات الضمان الاجتماعي:

إن دخول أهل الكتاب في ذمة الدولة الإسلامية يعنى أنهم أصبحوا من رعايا الدولة لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فالمسلمون يساهمون في الأعباء المالية للدولة كل حسب طاقته عن طريق الزكاة وغيرها من الواجبات التي يمكن أن تفرضها الدولة ،وأهل الذمة لابد لهم أن يساهموا بتحمل نصيبهم في الأعباء المالية للدولة ولذا جاء فرض الجزية عليهم ، وعليه فالجزية ضريبة مفروضة في أموال الذميين ، مقابل الزكاة المفروضة على أموال المسلمين باعتبار أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ،ولأن أهل الذمة لا يخاطبون بالزكاة لصفتها التعبدية وعدم إسلامهم ،وإنما يخاطبون بالجزية.[84]

أن الأساس لفرض هذه الضريبة عليهم يشمل الأسباب والأغراض الثلاثة السابقة ولا يقتصر على أحدهما حيث[85]:

1. أن الجزية بمثابة مساهمة من أهل الذمة في نفقات الأمن والحماية التي تكفلها لهم الدولة.

---

[83] الماوردي: المصدر السابق ، ص143.

[84] محمد شوقي الفنجري، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م، ص122

[85] على إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م، ص544.

2. المساهمة في الأعباء المالية للدولة على اعتبار أنهم من رعايا الدولة ، فكما أن المسلم يساهم عن طريق الزكاة والتكاليف الأخرى ، فالذمي مطلوب منه أيضاً أن يساهم في الأعباء المالية للدولة.

3. كما أن أداء الذمى للجزية معناه صدق ولائه للدولة المسلمة الخاضع لها حيث أوضحنا أن أخذ الجزية جزاء الكفر هو تمييز هذه الضريبة عن الضرائب التي يدفعها المسلم وأن أخذها منهم صاغرين يعني أن يرضوا بالخضوع لحكم الإسلام.

الإصلاح المالي للجزية في عهد عمر بن عبدالعزيز

والجزية في الاصطلاح: هي الوظيفة(الضريبة) المأخوذ من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع[86]، وقد قام عمر بن عبد العزيز بإتباع السنة في إيراد الجزية، فقد أسقطها عمّن أسلم، لأن الجزية فرضت على الكافرين وتسقط بالإسلام، ومع ذلك فقد استمر بعض خلفاء بني أمية في أخذ الجزية ممن أسلم، فأخذها الحجّاج لظنِّه أنهم دخلوا الإسلام هربا من الجزية، ولقد أدى ذلك إلى زيادة النقمة على الحجّاج وعلى الأمويين[87]، وعندما تولى عمر الخلافة سارع إلى إلغاء الجزية عن المسلمين[88]، وتشدّد في ذلك، وكتب إلى العمال كتاباً جاء فيه((من شهد شهادتنا واستقبل قبلتنا واختتن فلا تأخذوا منه الجزية.[89] ولما سمع أهل الذمة عن عدالة عمر وسيرته سارعوا للدخول في الإسلام، فشكا عامله ذلك، لأنه أدى

---

[86] ابن قدامه: المصدر السابق ، ص557/10.

[87] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص58.

[88] محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م، ص230

[89] الهروي: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي (المتوفى: 224هـ)، الأموال، دار الفكر، بيروت، 2010م، صـ61

إلى نقصان الجزية، فأجابه عمر: أما بعد، فإن الله قد بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً[90]. ولأن عمر اعتمد في سياسته على ترسيخ قيم الحق والعدل، ورفع الظلم عن أهل الذمة ورفق بمزارعيهم وفرض الجزية عليهم حسب المقدرة المالية للفرد، فجعلها على ثلاث طبقات للغني وللمتوسط وللفقير، وجعل صاحب الأرض يعطي جزيته من أرضه والصانع يخرجها من كسبه والتاجر من تجارته،[91] وفرض الجزية حسب طاقة البلاد المالية، فجعلها على أهل الشام أكثر منها على أهل اليمن بسبب غناهم ويسارهم[92]، ورفع الجزية عن الفقراء الذين لا يستطيعون دفعها، وأجرى عليهم رزقاً من بيت المال، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وخفَّضَ عمر الجزية عن أهل نجران حيث أمر بإحصائهم، فتبين له أن عددهم نقص إلى العشر، وجزيتهم بقيت كما هي، فأخذ منهم مئتي حلة بدلاً من ألفين، وأسقط جزية من مات أو أسلم[93]، وقد كانت للإصلاحات في جباية الجزية آثار مالية لصالح بيت المال، فإسقاط الجزية عمن أسلم أدّى إلى زيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم والشعور بالعدل والإنصاف، وبالتالي أدّى إلى إيقاف القلاقل والفتن التي كلفت الدولة نفقات طائلة، كما إن إسلام كثير من أهل الذمة جعلهم يدفعون الزكاة بدل الجزية والزكاة مقدارها أكبر هذا مع استمرار دفع الخراج على الأرض، أما انتشار أجواء الأمن والعدل فقد زاد الإنتاج حيث اندفع الناس للإنتاج والتنمية.[94]

---

[90] محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص230

[91] عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: 214هـ)، سيرة عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1984م، ص99

[92] الهروي: المصدر السابق ، ص51

[93] محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص232

[94] المرجع نفسه ، ص259

المبحث الثاني

الإصلاح المالي لخراج الأرض وعشور التجارة

أولاً: خراج الأرض

الخراج ف اللغة : من خرج يخرج خروجا بمعني : برز والخراج يخرج من الأرض ويطلق علي الأتاوة أو الضريبة التي تؤخذ من اموال الناس علي الغلة الحاصلة

واحتاج المسلمون لتنظيم أمور دولتهم إلى موارد مالية ثابتة ومتجددة ليضمنوا استقرار أمور الدولة ، لأن استقرار أمر الدولة مرهون باستقرار إيراداتها المالية لأجل ذلك عمد عمر رضي الله عنه إلى استحداث ضريبة جديدة على الأرض وهي ضريبة الخراج التي فرضت على الأراضي التي دخلت في حوزة الدولة الإسلامية عن طريق الفتح الإسلامي ،وقد طبق هذا النظام في العراق والشام ومصر.

وفي الاصطلاح لة معنيان أحدهما عام والآخر خاص:

أما العام فيقصد به الأموال العامة التي تمثل دخل الدولة أو إيراداتها ،وهو المقصود من تسمية أبو يوسف لكتابه بالخراج ، حيث بحث فيه إيرادات الدولة من الغنيمة والفيء والخراج والجزية وعشور التجارة والصدقات[95]، وهذا المعنى كان مستخدماً بصورة كبيرة في ذلك العصر وقد أشرنا في بداية الدراسة إلى ما قاله الماوردي في كيفية تقدير دخل الدولة وخراجها.

أما المعنى الخاص فهو يشير إلى الفريضة المالية (الوظيفة) التي تدفع للدولة بنظام معين سنوياً أو حسب المحصول ،وهذا المعنى المقصود ،ويعرفه الماوردي بأنه : ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها[96].

---

[95] محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص259

[96] الماوردي:المصدر السابق ، ص146

يعتبر الكثير من الفقهاء والمؤرخين أن أول من فرض الخراج لأول مرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك عندما فتح المسلمون أرض السواد بالعراق وأرسل إليه سعد بن أبي وقاص يسأله " ماذا يفعل بالأرض التي فتحت فرد عليه أنه قد بلغني كتابك أن الناس قد سألوك أن تقسم بينهم غنائمهم وما أفاء الله عليهم فأنظر ما اجلبوا به عليك في العسكر من كراع أو مال فأقسمه بين من حضر من المسلمين ،واترك الأرضيين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين فإنا لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء.[97]

واعتبار أن أول من فرض الخراج هو عمر بن الخطاب من الخطأ الشائع الذي درج عليه وشاع بين الكتاب ،والصحيح أن الخراج نشأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ورد أن أول من فرض الخراج هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرضه على أهل هجر فلما كان عهد عمر فرضه على أهل السواد.[98]

الهدف من وضع الخراج:

من خلال الحوادث التي دارت بين الصحابة بشأن قسمة أراضي الفتح أو إبقائها وقفاً للأمة وما هدى الله إليه المسلمين لما فيه خير الأمة ، يتضح أن الهدف كان إبقاء مورد مالي ثابت للدولة يأمن تغطية النفقات التي تحتاج إليها الدولة ويعلق أبو عبيد على ما فعله عمر فيقول :" أراه أراد أن تكون فيئاً موقوفاً للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن بعد قرن ، فيكون لهم قوة على عدوهم"

وهكذا كان الصحابة وعلى رأسهم أمير المؤمنين عمرين الخطاب يدركون أن تنظيم أمور دولتهم يحتاج إلى مورد ثابت ومتجدد يضمن تغطية النفقات التي تحتاجها الدولة ،ولما كانت الأرض الزراعية هي أهم مصدر من مصادر النشاط الاقتصادي في ذلك العصر فقد فرضت

---

[97] الهروي: المصدر السابق ، ص32

[98] أبو يوسف: المصدر السابق ،ص129

عليها وظيفة مالية هي " الخراج " وبذلك استطاعت الدولة أن تؤمن لها مورد ثابتاً يضمن لها استقرار إيراداتها وسياستها المالية1.

الأساس الذي اعتمد عليه في فرض الخراج:

بمعنى آخر ما الذي يمثله الخراج كوظيفة مالية فرضت على الأرض؟ هل أجرة للأرض؟ أم هو ثمن لها؟ أم هو مؤنة للأرض (كلفة)؟ أم وظيفة مالية (ضريبة)؟

وتفيد الإجابة على هذه الأسئلة في تحديد موقع الخراج في هيكل التمويل الإسلامية، قال ابن تيمية في أن الخراج هو معاملة قائمة بنفسها ولا تقاس على غيرها ولكن يعتبر أنه قائم على أساس تمليك أرباب الأرض (ملكية منفعة) وتبقى ملكية الرقبة للدولة.[99]

وعليه يكون الخراج وظيفة تفرض من قبل الدولة على الزراع مقابل امتلاكهم لمنفعتها.

وقد أباح الفقهاء لأرباب الأرض التصرف بهذه المنفعة بالبيع والشراء والإجارة والمزارعة وغير ذلك من التصرفات ، لأن التصرفات تجري في المنافع الثابتة كذلك فإن هذه المنفعة توريث المنافع – إلا أنهم أجازوا وراثة منفعة الأراضي لأن حق واضع اليد عليها حق عيني ،و أيضاً لهم حق الأولوية بمقتضى وضعهم القديم ،وذلك نظير الخراج وهذا يشبه حق الحكر حيث يورث الأعيان التي تعلق بها.[100]

وإذا كان الوضع على هذه الصورة – أي أنه ملكية منفعة ،وليست ملكية رقبة – فإن من حق ولي الأمر (الدولة) أن تنزع الأراضي من أيدي واضعي اليد عليها إذا اقتضت مصلحة الدولة ذلك واستغلالها بالصورة التي تراها محققة لمصلحة الدولة.2

1الهروي : المصدر السابق ، ص .98

2 أبن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، الاستخراج لأحكام الخراج، دار المعرفة، بيروت، دت، ص620

[100] عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، معهد الدراسات الاسلامية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1980م، ص.212.

2 ابن الحكم : المصدر السابق ، ص 66.

ولكن نزع الأرض من أربابها يجب أن يكون بشروط أولها تعويضهم عن حقوقهم ،والثاني أن يتم نزع الأرض لتحقيق مصلحة أكبر من مصلحة وجودها في أيدي أربابها.

أسس تقدير الخراج وكيفية جبايته

إذا كانت الصورة على ما ذكرنا سابقاً فما هي الأسس التي يجب مراعاتها في تقدير الخراج؟

إن المبدأ العام المعمول به هو أن يوضع الخراج بما يحتمله طاقة الأرض وطاقة أهل الخراج من غير زيادة أو إجحاف يضر بأهل الخراج ويؤدي إلى نقصان الإيرادات المتحصلة منه ،ولكن على أي أساس تتحدد طاقة الأرض ما تتحمله ؟

يرى الماوردي أن الأرض وتحملها يتجدد ويتأثر بأربعة عوامل هي:[101]

1. ما يختص من جودة يزكونها زرعها أو رداءة يقل بها ربعها وهذا يمثل نوعية الأرض من حيث درجة الخصوبة.

2. ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار ، فمنها ما يكثر ثمنه ،ومنها ما يقل ثمنه ،وهذا العامل يمثل العائد المتحقق من الزراعة.

3. ما يختص بالسقي والشراب لأن ما التزم المؤنة في سقيه بالنواضح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح والأمطار وهذا العامل يمثل تكلفة الإنتاج.

4. القرب من البلدان والأسواق وهذا العامل يشير إلى مدى استفادة الأراضي الزراعية من البنيات الأساسية التي توفرها لها الدولة.

أما كيفية جباية الخراج واستيفاؤه فهناك طريقتين لذلك:[102]

---

[3] الماوردي: المصدر السابق ، ص148.

الأولى : وهي توضع على مساحة الأرض وتسمى خراج الوظيفة ،وهذه الوظيفة تتعلق بالتمكن من الانتفاع من الأرض وليس على المزروع فعلاً.

الثانية : وهي توضع على الزرع والثمر حيث تكون لبيت المال حصة معلومة من الزرع أو الثمر الربع أو الخمس ،وتسمى هذه الطريقة بخراج المقاسمة.

وقد استخدم المسلمون كلتا الطريقتين لاستيفاء الخراج وجبايته ، فعن خراج الوظيفة يذكر أبو يوسف أن عمر بن الخطاب عندما فرض الخراج على أرض السواد فرض على كل جريب درهماً وقفيزاً .[103]

الإصلاح المالي لخراج الأرض في عهد عمر بن عبدالعزيز

هو ما تأخذه الدولة من ضرائب على الأرض المفتوحة عنوة أو الأرض التي صالح أهلها عليها[104]. لقد ارتفع إيراد الخراج في زمن عمر بن عبد العزيز وبلغ مائة وأربعة وعشرين مليون درهم[105]. وكانت هذه الزيادة في إيراد الخراج نتيجة لسياسته الإصلاحية فقد منع بيع الأرض الخراجية فحافظ على المصدر الرئيسي للإنتاج، كما اعتنى بالمزارعين، ورفع عنهم الضرائب والمظالم التي كانت تعوق إنتاجهم واتبع سياسة الإصلاح والإعمار وإحياء الأرض الموات، كما اهتم ببناء مشاريع البنية الأساسية للقطاع الزراعي فبنى الطرق والقنوات[106]، فمشاريع الطرق سهلت على المزارعين تسويق إنتاجهم، ومشاريع القنوات والآبار سهلت عليهم سقي محاصيلهم بكلفة أقل، كل هذه الإصلاحات الخراجية أثمرت في النهاية وأدت إلى ارتفاع الخراج زمن عمر،

---

102 عبدالقديم زلوم، الأموال في دولة الخلافة، دار الملايين، بيروت، 1983م، ص55

103 أبو يوسف: المصدر السابق ، ص40

104 محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، 1988م، ص194

105 محمد ضياء الدين الريس، المرجع سابق، ص238

106 قطب ابراهيم محمد، السياسة المالية والاقتصادية لعمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص74

فقد بلغ خراج العراق في عهده مائة وأربعة وعشرين مليون درهم، وهذا المقدار أكبر مما جبى في العهود السابقة، فقد بلغ خراج العراق زمن الحجاج أربعين مليون درهم، وفي عهد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . مائة مليون درهم.[107] أما خراج خراسان زمن عمر بن عبد العزيز فقد كان فائضاً عن حاجات الدولة وبلغ الخراج زمن عمر أقصى قدر ممكن أن يبلغه في الأحوال العادية. وهذا الارتفاع في مقدار الخراج يشير إلى قوة الدولة المالية، لأن خراج العراق كان يشكل أكبر نصيب من إيراداتها، مما ساعد على تحقيق الأهداف الاقتصادية من دعم مشاريع البنية التحتية والمشاريع الإنتاجية والإنفاق على الطبقات الفقيرة والعاجزة، ذلك لأن إيراد الخراج يتسم بالمرونة من حيث مصارفه بعكس الزكاة فهي محددة المصارف. [108]

ثانياً: عشور التجارة

في الاصطلاح : هي ضريبة تجارية يخضع لها الذميين والمستأمنين إذا مروا بديار المسلمين ولا تؤخذ العشور من المسلم لما روى أبو داود عن حرب بن عبيد الله الثقفي عن جده – أبي أمه – عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ليس على المسلمين عشور إنما العشور على اليهود والنصارى.[109]

يعتبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هو أول من فرض العشور على أهل الذمة حيث لم تكن هذه الضريبة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا على عهد أبي بكر رضي الله عنه بل ورد النهي عن أخذها لأن التعشير كان معروفاً في الجاهلية ولذلك نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : "لا يدخل الجنة صاحب مكس".[110]

---

[107] محمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص237

[108] قطب ابراهيم محمد، المرجع السابق، ص76

[109] الهروي: المصدر السابق ،ص212

[110] نفس المصدر ، ص212

والأصل الذي دفع أمير المؤمنين إلى فرض هذه الضريبة ما رواه أبو يوسف من أن أهل منبج – قوم من أهل الحرب – كتبوا إلى عمر بن الخطاب : (دعنا ندخل أرضك تجاراً وتعشرنا). قال فشاور عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأشاروا عليه به فكانوا أول من عشر من أهل الحرب .[111]

وفي رواية أخرى كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر قال : فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهما وليس فيما دون المائتين شيء فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه .[112]"

وقد اشترط جمهور الفقهاء لوجوب هذه الضريبة في مال الذمي أن يبلغ نصاب زكاة بدليل الحديث السابق. أما مالك فلا يشترط النصاب لوجوب هذه الضريبة .[113]

تقدير العشور :

يشير إلى الأساس الذي يتم عليه تحديد سعر هذه الضريبة والواضح من الأحاديث السابقة أن ذلك مبني على المعاملة بالمثل كما أشار إلى ذلك حديث أبي موسى الأشعري، أو لمصلحة المسلمين وقد أشار إلى ذلك أبو عبيد حيث ذكر أنه يجوز أن يؤخذ منهم أكثر من العشر أو أقل فقد ورد أن عمر كان يأخذ من النبط من الزيت والحنطة نصف العشر لكي يكثر الحمل إلى المدينة ويأخذ من القطنية العشر لأن الحاجة لم تكن إليها شديدة وليست من الضروريات وهذا ينطبق على أصناف التجارات التي تخضع لما يحقق مصلحة المسلمين فلا

---

[111] أبو يوسف، المصدر السابق ،ص135

[112] المصدر نفسه ، ص135

[113] أبن قدامة: المصدر السابق ،ج8، ص519

يسمح بدخول أو خروج ما يضر دخوله أو خروجه بالمسلمين فإن هذه الضريبة يحكمها مبدآن هما:[114]

1. تحقيق مصلحة المجتمع .
2. المعاملة بالمثل.

فإذا كانت هناك معاهدات تحكم التجارة الخارجية بين المسلمين وغيرهم تم مراعاة هذه المعاهدات وعومل التجار الأجانب بمثل ما يعاملون به تجار المسلمين، تطبيقاً لمبدأ المعاملة بالمثل ما لم يتعارض ذلك مع مصلحة المجتمع، فإذا تعارض روعيت مصلحة المجتمع، وقدمت على مبدأ المعاملة بالمثل لأن المفروض في المعاهدات أن تحقق مصلحة المجتمع.[115]

تنظيم ضريبة العشور :

الواضح مما ذكر أن الفاروق قد حدد ضريبة العشور بنصف العشر على الذمي والعشر على المستأمن، ولكن لم يحدد الحد الأدنى من المال الذي يخضع إلى هذه الضريبة وكذلك المدة التي تؤخذ فيها .2

أما مسألة الحد الأدنى فقد تم إيضاحها وبيان آراء الفقهاء، يبقى تحديد المدة التي تؤخذ عنها هذه الضريبة .

عن زياد بن حدير أن أباه كان يأخذ من نصراني في كل سنة مرتين، فأتي عمر بن الخطاب، فقال يا أمير المؤمنين، إن عاملك يأخذ مني العشر في السنة مرتين، فقال عمر ليس

---

114 الهروي: المصدر السابق ، ص214

115 يوسف إبراهيم يوسف، النفقات العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص96

2 محمد ضياء : المرجع السابق ، ص 94 .

ذلك له، إنما له في كل سنة مرة. ثم أتاه فقال : أنا الشيخ النصراني، فقال عمر وأنا الشيخ الحنيف قد كتبت لك في ما قبل.[116]

ولكن هذا الحكم يتعلق بالمال إذا مرّ به التاجر مرتين على العاشر ، لكن إذا تغير هذا المال فمن حق العاشر إن يفرض عليه الضريبة مرة أخرى وقد أشار إلى ذلك أبو عبيد فقال : أنه إذا كان المال الثاني هو الذي مر به بعينه في المرة الأولى لم يأخذ منه في تلك السنة، ولا من ربحه أكثر من مرة لأن الحق الذي لزمه قضاه فلا يقضى حق واحد من مال واحد مرتين، وإن كان مر بمال سواه أخذ منه مرة أخرى. وإن جدد ذلك في كل عام مراراً إذا كان قد عاد إلى بلاده، إذ أنه ليس أحسن حالاً من المسلم ألا ترى أنه لو مرّ بمال لم تؤد زكاته أخذت منه الصدقة، ثم إن مرّ بمال آخر في عامه ذلك لم تكن أخذت منه الزكاة أنه يؤخذ منه من ماله هذا أيضاً؟ لأن الصدقة الأولى لا تكون قاضية عن المال الآخر.[117]

إذن فالسنة ليست شرطاً لأخذ هذه الضريبة إلا إذا كان نفس المال، أما إذا كان مالاً آخر فإنه تفرض عليه الضريبة وإن مرّ به نفس التاجر مراراً .

الإصلاح المالي لعشور التجارة في عهد عمر بن عبدالعزيز

وقد اهتم عمر بن عبد العزيز بإيراد العشور فوضح مبادئها للعمال، وأمر بكتابة كتاب لدافعها لإعفائه منها للحول القادم، كما منع قبض العشور، والتي كانت تفرض على الناس بغير حق[118]، وقد نشطت التجارة في عهده وتوافرت موارد جديدة للدولة واستطاع أن يوظفها للإنفاق العام وكانت الإجراءات التي اتخذها عمر لتنشيط الحركة التجارية كالآتي:

---

[116] الهروي: المصدر السابق ، ص216

[117] المصدر نفسه ، ص216

[118] قطب ابراهيم محمد، المرجع سابق، ص42

أ . إلغاء الضرائب الإضافية التي كانت مفروضة على القطاع الزراعي[119] وقد انعكس هذا إيجاباً على القطاع التجاري في صورة انخفاض ملحوظ في أسعار السلع الزراعية، فزاد في الطلب عليها، وأحدث رواجاً في تجارتها، وفي ظل اقتصاد قوامه الزراعة فإن زيادة عرض السلع الزراعية وانخفاض أثمانها على النحو الذي واكب السياسة الرشيدة لعمر بن عبد العزيز أحدث رواجاً لا في التجارة فحسب، ولكن في بقية قطاعات الاقتصاد الإسلامي.

ب . إلغاء الضرائب على القطاع التجاري، والاقتصار على العشور، وكان لهذا تأثير ايجابي على قطاع التجارة، وقد أدى إلى تشجيع مزاولة التجارة، وزاد من أرباح التجارة فزاد معها حجم المبادلات التجارية.[120]

ج . إلغاء أسلوب العنف في تحصيل مستحقات الدولة الماليةعلى التجار وغيرهم، وهذا أيضاً من عوامل تشجيع التجارة وتنميتها.

ح . عمل استراحات[121] على طريق التجارات مع بلاد الشرق، ومطالبة الولاة على البلاد التي توجد بها هذه الاستراحات بأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين المسافرين يوماً وليلة، وأن يتعاهدوا دوابهم على حساب الدولة ومضاعفة هذه المدة لمن يشكو منهم علة، وبالنسبة لمن مر بهذه الاستراحات وكان منقطعاً أو سرقت تجارته أو تلفت لأي سبب، فكان يعطي من المال ما يكفيه للوصول إلى بلده، ولا يخفى ما كان بهذه التسهيلات والضمانات من عوامل تشجيع للتجار وللتبادل التجاري.[122]

---

[119] ابن عبد الحكم: المصدر السابق ، ص141

[120] عصام هشام عيدروس الجفري : المرجع السابق ، ص 218

[121] ابن عبد الحكم: المصدر السابق ، ص439

[122] عصام هشام عيدروس الجفري، المرجع السابق، ص219

د . منع العطاء عن التجار، حتى تكون التجارة مصدر رزقهم الوحيد فيهتموا بها أكثر وينشطوا فيها، لاسيما وأن التجارة كانت في ذلك الوقت متعبة من حيث السفر، والترحال، لعدم توفر وسائل المواصلات المريحة التي نشاهدها اليوم.

ذ . قضاء ديون كل من أدان في غير سفه ولا سرف[123]، ويدخل ضمنهم التجار إن لم يكونوا جلهم، وقد أدى هذا القرار إلى إقالة عثرات التجار الذين أفلسوا ومكنهم من العودة إلى مزاولة التجارة، وخاصة تلك الفئة من التجار الذين بدأوا تجارتهم عن طريق اقتراض رأس المال المطلوب.

ر . الحرص على ضبط ومعايرة وتوحيد المكاييل والموازين في كافة أنحاء الدولة، وجعل ذلك من مواد القانون الأساسي للدولة.

ز . منع الولاة والأمراء من الاشتغال بالتجارة، حتى لا يكون في دخولهم السوق أفساد للمنافسة الشريفة بين التجار، أو تأثير على الأسعار لصالحهم، وهي محاولة من عمر بن عبد العزيز بالبعد بالأسواق عن أي مؤثرات غير طبيعية تؤثر في تلقائية تحديد السعر.[124]

ط . منع الاحتكار ومن ذلك أعادته دكاكين بحمص كانت في يد مجموعة من أهل السوق، وكان ابن الوليد بن عبد الملك قد استولى عليها، وحولها إلى ملكية خاصة له، فنزعها وأعادها إلى أصحابها، وبهذا يعد بهذا الموقف الاحتكاري وجودهذه الإجراءات الإصلاحية ساهمت في ازدهار الحركة التجارية في عهد عمر بن عبد العزيز وبذلك زادت حصيلة إيرادات العشور وتوافرت موارد جديدة للدولة استطاع عمر أن ينفقها على الصالح العام. [125]

---

[123] الهروي: المصدر السابق ، ص234

[124] عصام هشام عيدروس الجفري، المرجع السابق، ص219.

[125] المرجع نفسه ، ص220.

الفصل الرابـع

انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبدالعزيز بعد وفاته

المبحث الأول

وفاة عمر بن عبدالعزيز

كانت أخر خطبة خطبها بخناصرة، فقال فيها: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم، والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، ألا وأعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع نافذا بباق، وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ؟ وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله، فتعيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد، قد فارق الأحبة، وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، فقير إلى ما قدم غني عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه وأيم الله إني لا قو لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه، وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسد من حاجته ما قدرت عليه، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وودت أنه سداي ولحمتي، حتى يكون عيشنا وعيشه سواء، وأيم الله أن لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، يدل فيها على طاعته، وينهى عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله، ثم نزل فكانت إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله[126].

اختلفت الروايات عن سبب مرض وموت عمر بن عبد العزيز فعلى حين تذكر الروايات أن سبب مرضه وموته هو الخوف من الله تعالى والإهتمام بأمر الناس كما روي عن زوجته فاطمة بنت عبد الملك وكما ذكر إبن سعد في الطبقات عن ابن لهيعة، إلا أنه قد ذكر سبب أخر لموته وهو أنه سقي السم وذلك أن بني أمية قد تبرموا وضاقوا ذرعاً من سياسة عمر بن عبد العزيز التي قامت على العدل وحمتهم من ملذاتهم وتمتعهم بميزات لا ينالها غيرهم، بل جعل بني أمية مثل أقصى الناس في أطراف دولة الإسلام ورد المظالم التي كانت في أيديهم

---

[126] الطبري: المصدر السابق ، ص 475.

وحال بينهم وبين ما يشتهون، فكاد له بعض بني أمية بوضع السم في شرابه[127]. وهذا ليس من المستبعد أو المستغرب أن يعمد أحد هؤلاء إلى سقيه السم ليتخلص منه وليكن ذلك عن طريق خادمه الذي يقدم له الطعام والشراب، فقد روي أنهم وعدوا غلامه بألف دينار وأن يعتق إن هو نفذ الخطة فكان الغلام يضطرب كلما هم بذلك، ثم إنهم هددوا الغلام بالقتل إن هو لم يفعل، فلما كان مدفوعاً بين الترغيب والترهيب حمل السم فوق ظفره، ثم لما أراد تقديم الشراب لعمر قذف السم فيه ثم قدمه إلى عمر فشربه ثم حس به منذ أن وقع في بطنه. وعن مجاهد قال : قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس في؟ قلت: يقولون إنك مسحور. قال: ما أنا بمسحور ثم دعا غلاماً له فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السم ؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق، قال: هات الألف فجاء بها فألقاها عمر في بيت المال. وقال: أذهب حيث لا يراك أحد[128] فالسبب المباشر لمرضه وموته فهو كما ذكرت الروايات كان بسبب سقيه السم، ففي عفوه عن غلامه الذي وضع له السم وتسبب في قتله وهو قادر على أن يقتله شر قتلة وفي عدم إستفهامه من الغلام عن من أمره بوضع السم وقد كان يستطيع إرغام الغلام والاعتراف بذلك ثم يأمر بالقصاص منهم جميعاً، مثل عجيب في العفو وسبب ذلك لا نه كان يوقن أن ما عند الله خير وأنه إن عفا عنه حصل له الثواب من الله تعالى على عفوه، وإن انتصر منه فأقام عليه الحد لم يا ثم ولكنه لا يحصل على أجر العفو ونظراً إلى أن أغلى شيء عنده في هذه الحياة أن يرتفع رصيده من الحسنات فإنه قد فضل العفو على انتصاره للنفس[129].

بلغ من تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه عندما ذكروا له ذلك الموضع الرابع في حجرة عائشة والتي فيها قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعمر، فقالوا: لو دنوت من المدينة حتى تدفن معهم قال: والله لا يعذبني الله عذاباً . إلا النار فإني لا صبر بي عليها . أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني أراني لذلك أهلاً.[130] ويأبى أمير المؤمنين عمر بن عبد

---

[127] محمد شقير، المرجع السابق، ص(43/1) .

[128] الذهبي: المصدر السابق ، ص120/1.

[129] عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، 1998م، ص229/16.

[130] أبن الجوزي: المصدر السابق ، ص45/1

العزيز . رحمه الله تعالى . إلا أن يشتري موضع قبره من ماله الخاص وذلك بسبب ورعه ومحاسبته الشديدة لنفسه، فقد جاءت الروايات أنه قال لمن حوله . وهو في مرض موته . إشتروا من الراهب موضع قبري فقال له النصراني: والله يا أمير المؤمنين إني لأتبرك بقربك وجوارك وإنها لخيرة أن يكون قبرك في أرضي، قد أحللتك ويأبى عمر قائلاً: إن بعتموني موضع قبري وإلا تحولت عنكم ثم دعا بالثمن الذي إختلفت الروايات في مقداره فقيل: دينارين، وقيل ستة، وقيل: ثلاثين، دعا بالثمن فوضعه في يد النصراني فقال أصحاب الأرض: لولا أنا نكره أن يتحول عنا ما قبلنا الثمن[131].

كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك . وهو في مرض الموت . قائلا:: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر . أمير المؤمنين . إلى يزيد بن عبد الملك، السلام عليك:

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإني كتبت إليك وأنا دنف[132] من وجعي وقد علمت إني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً يقول تعالى فيما يقول: ((**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ**)): (الأعراف ، الآية : 7) فإن يرضى عني الرحيم فقد أفلحت ونجوت من الهول الطويل، وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلى ما أصير أسأل الله الذي لا إله إلا هو، أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة. وعليك بتقوى الله والرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً حتى تلحق باللطيف الخبير[133]. وجاء في رواية: . .. فإن سليمان بن عبد الملك، كان عبداً من عباد الله، قبضه الله واستخلفني وبايع لي من قبله، وليزيد بن عبد الملك إن كان من بعدي، ولو كان الذي أنا فيه لاتخاذ أزواج، أو اعتقاد أموال كان الله قد بلغ بي أحسن ما بلغ بأحد من خلقه ولكني أخاف حساباً شديداً ومسألة لطيفة، إلا ما أعان الله عليه والسلام عليك ورحمة الله

---

[131] أبن الجوزي: المصدر السابق ، صـ322 . 323 .

[132] دنف : برأه المرض حتى أشفى على الموت ، أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، http://www.alwarraq.com .

[133] أبن الجوزي: المصدر السابق، صـ318 . 319، محمد شقير، المرجع السابق، ص(47/1) .

4 سوره الأعراف : الآية 7.

وبركاته. لقد نصح عمر بن عبد العزيز . رضي الله عنه . لولي عهده يزيد بن عبد الملك ما وسعه النصح وبذل ما يقدر عليه من التخويف والتهديد من عاقبة الأمر مع ضرب الأمثلة والإعتبار بالسابقين فقد نصح وبلَغ أتم البلاغ[134].

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليَ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته: قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم: **((إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ))** (الأعراف، الآية: 196). وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله ادع لي بني، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم . وبكى .: يا بني إني قد تركت لكم خيراً كثيراً، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقاً يا بني إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلى أخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلي، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله[135]. وجاء في رواية: أن عمر وصى مسلمة أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه، وأن يمشي معه إلى قبره، وأن يكون مما يلي إدخاله في لحده، ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل تركتني، وعلى أي حال أسلمتني إليه الدنيا فقال له مسلمة: هذه مائة ألف دينار، فأوصي فيها بما أحببت، قال: أو خير من ذلك يا مسلمة ؟ أن تردها من حيث أخذتها، قال مسلمة: جزاك الله عنا خيراً يا أمير والله لقد ألنت قلوباً قاسية، وجعلت لنا ذكراً في الصالحين[136] وفي الأثرين الماضيين دروس وعبر ففي الخبر الأول مثل من ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه

---

[134] محمد شقير، المرجع السابق، ص47./1

2 سورة الأعراف : الأية 196

[3] عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: 214هـ)، سيرة عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1984م، صـ115 ، 116.

[136] عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، المرجع السابق، ص222/16.

الله تعالى حتى في وصيته لأولاده بعد موته، حيث لم يرض لنفسه أن يفارق الدنيا وقد حمل ذمته شيئاً لا يدري على أي وضع يكون تنفيذه، فربما تصور أنه لو أوصى بهم أحد أقاربه لأعطاهم من مصدر لا يحل، فيلحقه بذلك شيء من الإثم، فلجأ إلى الله تعالى وفوض أمرهم إليه، لقد تصور في معاملة أولاده وقوعه بين أمرين: أن يغنيهم في الحياة الدنيا ، وذلك يمنحهم شيئاً من المال العام للمسلمين، فيتعرض بذلك للفحات النار، أو أن يكتفي بالإنفاق عليهم من المورد القليل الحلال الخالي من الشبهات فيتعرض بذلك لنفحات الجنة، فاختار الطريق الأخير مع ثقته أن لن يضيعهم وقد أشار إلى أنه ترك لهم السمعة العالية، حيث سيكونون موضع إحترام وعطف جميع المسلمين وأهل الذمة، وأكرم بذلك من تركة إنها تركة عظيمة لا تقدر بها أموال الدنيا عند أصحاب الأفكار النيرة والعقول المبصرة، وفي قوله: (إنما ولد عمر بين رجلين: إما رجل صالح فسيغنيه الله وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله) لفتة جليلة إلى معية الله تعالى لأوليائه بالحفظ أخذاً من قول الله تعالى: ((**وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**))[137] ، وإشارة إلى أن الأمر المهم أن يبذل الوالد أقصى جهده في تربية أولاده على الصلاح ليحفظهم الله تعالى، وليس المهم أن يسعى في جمع المال لهم حتى يغتنوا من بعده، لا نهم إن لم يكونوا صالحين فسيكون ذلك المال عوناً لهم على معصية الله تعالى[138]. وأما في الأثر الثاني يوجه أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ابن عمه مسلمة بن عبد الملك إلى التحري في اكتساب المال، ويبين له أن إنفاق المال بالصدقة أو الهدية لا يجعله حلالاً، بل لا بد من التحري في كسبه، فإذا لم يكن للإنسان حق فيه وجب عليه أن يرده إلى مستحقيه، ولا يبرئ ساحته أن يتصدق به أو يهديه[139].

عن رافع بن حفص المدني أن عمر قال لرجاء: إذا أنا مت وغسلتموني وكفنتموني وصليتم علي وأدخلتموني لحدي، فاجذب اللبنة من عند رأسي، فإن رأيت وجهي إلى القبلة فاحمدوا الله وأثنوا عليه، وإن رأيت قد زويت عنها، فاخرج إلى المسلمين ماداموا عند لحدي حتى

---

[137] سورة الأعراف : الأية 196.

[138] عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، المرجع السابق، ص222/16.

[139] المرجع نفسه ، ص222/16.

يستوهبوني من ربي، قال : فلما وضع في لحده وقبل باللبن على وجهه جذبت اللبنة من عند رأسه فإذا وجهه إلى القبلة فحمدنا الله وأثنينا عليه[140].

قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يرفع للمؤمن من الأجر. وفي رواية: ما أحب أن يخفف عني سكرات الموت لا نه آخر ما يكفر به عن المرء المؤمن.

لما احتضر عمر بن عبد العزيز، قال: أخرجوا عني فلا يبقين عندي أحد. وكان عنده مسلمة بن عبد الملك، فخرجوا وقعد مسلمة وفاطمة زوجه أخت مسلمة على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست وجوه إنس ولا بوجوه جان[141]، وجاء في رواية: . ..قالت فاطمة بنت عبد الملك: كنت أسمع عمر يقول في أيا م مرضه: اللهم أخف عنهم موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده، وجلست في بيت بيني وبينه باب، فسمعته يقول: ((**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**)) [142]ثم هدأ فجعلت لا أسمع له صوتاً ولاحساً ولا كلاماً. فقلت لوصيف كان يخدمه: لو دخلت على أمير المؤمنين فدخل وصاح، فقمت ودخلت عليه وقد أقبل بوجهه إلى القبلة وأغمض عينيه بإحدى يديه وأغمض فمه بالأخرى، ومات رحمه الله[143]. وجاء في رواية: أن عمر بن عبد العزيز لما كان مرضه الذي هلك فيه قال لهم: أجلسوني، فأجلسوه، ثم قال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه وأحد النظر فقالوا له: إنك لتنظر نظراً شديداً، فقال إني لأرى حضرة ليست بإنس ولا جن ثم قبض [144]. وكان نقش خاتمه: عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله.

---

[140] أبي حفص عمر بن الخضر المعروف بالملاء، الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق د . محمد صدقي اليورنو، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1996م، ص644/2 ، 645.

[141] عبدالعزيز بنعبد الحميد ،المرجع السابق ،ص (652/2) .

[142] القصص ، الآية : 83.

[144] ابي حفص عمر الخضر : المرجع السابق ، ص 653.

توفي الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة (101هـ) على أصح الروايات وأستمر معه المرض عشرين يوماً وتوفي بدير سمعان من أرض المعرة بالشام بعد خلافة إستمرت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيا م وتوفي وهو إبن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعلى أصح الروايات وكان عمره لما توفي أربعين سنة[145].

[145] الشافعي: محمد بن سلام بن جعفر الشافعي، تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف ، وفنون أخبار الخلائف، مطبوعات أم القرى، مكة المكرمة، 1995م، ص363 .

المبحث الثاني

انتكاس سياسة عمر بن عبد العزيز للإصلاح المالي

أن عمر بن عبد العزيز طلب سياسة عمر بن الخطاب ليقتدي بها وأنه طبق هذه السياسة في النواحي الخاصة بالمال العام على النحو الذي أوضحناه بعد أن استقاها من مصدريها الأساسيين وهما القرآن والسنة وظلت هذه السياسة منفذة في حياته، ولكنه لما مات انتكست للأسباب التالية:

1. **نبذ أمراء بني أمية سياسة عمر بن عبد العزيز من بعده:**

سلب أمراء بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز المعارضين حقوقهم المالية التي كان قد أعادها إليهم وكانت المعارضة للحكم الأموي تتمثل في الأحزاب والطوائف التالية:

حزب الشيعة: يرى أن علي بن أبي طالب وأولاده من بعده أحق الناس بالخلافة.

حزب الخوارج: وأعضاؤه الذين خرجوا من جيش على وأنصاره وأعلنوا عصيانهم له وكانوا يستحلون دماء الأمويين والعلويين ويرونهم خارجين على الدين ويرون أن الخلافة حق مسلم لا فرق بين قرشي وغير قرشي.

حزب الزبيريين: وينادي أعضاؤه بالخلافة لعبد الله بن الزبير.

طائفة الموالي: لم تظهر كحزب ولكنهم كانوا ينضمون للأحزاب المعارضة[146].

طائفة القدرية: كانوا ينكرون قدر الله تعالى ويغالون في إثبات قدرة الإنسان[147].

وقد أدى سلب الحقوق المالية للمعارضة لإلى اتخاذ العلاقة بين أمراء بني أمية والأحزاب شكل الصراع الذي مولته الدولة الأموية وبذلك. عادت للمال العام إحدى نكساته التي كانت له قبل عمر بن عبد العزيز وهي إنفاق جزء منه على قتال المسلمين بعضهم بعضا.

---

[146] محمد الطيب النجار، محاضرات في تاريخ العالم الإسلامي، طبعة معهد الدراسات الإسلامية ، طبعة 1986م ، ص 85- 86

[147] سعد عبد السلام، عمر بن عبد العزيز ،طبعة دائرة الفكر العربي ، د. ت ص 156

2. قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز:

كانت خلافة عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وهي مدة قصيرة لا تكفي لتأصيل السياسة المالية الإصلاحية واستقرار مبادئها واعتياد الممولين عليها، والقرآن الكريم يوضح ذلك في السياسة المالية التي اقترحها يوسف الصديق عليه السلام فقد استغرق تنفيذها خمسة عشر عاما كما يبين من الآيات التالية: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[148].

3. عدم حماس البعض لاستمرار سياسة عمر بن عبد العزيز المالية:

لم يكن الأمراء الأمويين وحاشيتهم وحدهم الرافضين لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية، بل كان بجانبهم بعض المنتفعين من بيت المال بغير حق فكانوا يتقدمون لعمر بن عبد العزيز يطالبون بمزايا قررها لهم الخليفة الأموي السابق فيرفضها بعد أن يوضح لهم عدم أحقيتهم لما يطلبون من أموال خصوصا وأنهم كانوا من الأغنياء، وقد أوردنا نموذجا لبعضهم فيما سبق[149] ومن هؤلاء أيضا الشعراء الذين اعتادوا الحصول من بيت المال على منح وعطايا كبيرة بناء على أوامر من حكام بني أمية السابقين لعمر بن عبد العزيز بعد أن يلقوا قصائد الشعر في مدحهم بغير حق نفاقا لهم ابتغاء حصولهم على الأموال العامة سحتا وبهتانا. كما أن الظالمين الذين طبقت عليهم سياسة رد المظالم كانت صدورهم موغرة ضد هذه السياسة وضد واضعها يتمنون أفولها ونهاية واضعها، وأنضم إلى هؤلاء في كراهيتهم لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية الولاة والعمال الظلمة الذين فصلهم عمر في بدء ولايته لظلاماتهم ومنها تعسفهم في الجباية وتعذيبهم للأهالي والسير بسيرة الحجاج الثقفي في الولاية، وكذلك الولاة والعمال الذين كان أمير المؤمنين يثق فيهم ويوليهم الولايات والأعمال العامة ثم يكتشف من تتبعهم أنه أحسن الظن واغتر بهم وأنهم غير جديرين بالثقة ولا بحسن الظن لما يرتكبونه من الغشم في الولاية

---

[148] سورة يوسف، الآية 47 – 49.

[149] الطبري: المصدر السابق ، ص 565

والسوء في الإدارة والجور في الجباية والظلم في الحقوق. ومما ساهم في انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته أن بقية الرعية من الموالين للبيت الأموي من غير الأحزاب الأخرى والمؤيدين للسياسة المالية لعمر بن عبد العزيز صمتت عندما تبدلت سياسته بعد وفاته، فلم يذكر التاريخ أن رأيا جماعيا طالب بالتمسك بها وعدم الانحراف عنها. [150]

4. فرض الخليفة الأموي بعد عمر:

جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن عبد الملك خليفة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز، ولذلك لم يكن لعمر بن عبد العزيز رأي فيمن يلي بعده، ومن المعروف أن الحكم الأموي جعل الخلافة سلطة مطلقة مع تطبيق مبدأ الوراثة المباشرة في الخلافة في أول الأمر بمعنى أن يخلف الابن أباه ثم الورثة المطلقة بمعنى أن يتولى الخلافة شخص آخر من أفراد الأسرة الحاكمة بشرط أن يكون من أبناء البيت الأموي.

وأغلب الظن لو ترك الخيار لعمر بن عبد العزيز في أمر الخلافة بعده، لطبق أحدى طرق ثلاث:

لصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبض ولم يستخلف أحدا فارتضى الناس أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

أو لصنع كما صنع أبو بكر فاختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الذي قال عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه "لن يأتي الزمان بمثل عمر"[151].

أو لصنع كما صنع عمر بن الخطاب فجعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده.

---

[150] الطبري: المصدر السابق ، ص 566

[151] ابن كثير القرشي ، عمر بن عبد العزيز ، تعليق أحمد الشرباسي، دار الطباعة والنشر ، د. ت ص 98

وتطبيق طريقة من الطرق الثلاث كان سيؤدي لاختيار خليفة يتسم بالصلاحية فيبقى على سياسة عمر بن عبد العزيز التي اتسمت هي الأخرى بالصلاحية وقامت على الإصلاح.

وتوضح فيما يلي نماذج من مظاهر انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته في عهود بعض من تولى بعده.

خلفاء الدولة الأموية بعد عمر بن عبد العزيز:

ولى أمارة الدولة الإسلامية بعد عمر بن عبد العزيز في عصر الدولة الأموية:

يزيد الثاني 101 – 105 هجرية.

هشام بن عبد الملك 105 – 125 هجرية.

الوليد الثاني 125 – 126 هجرية.

يزيد الثالث 126 هجرية

إبراهيم 126 – 127 هجرية.

مروان بن محمد 127 – 132 هجرية.

وبموت عمر بن عبد العزيز انتكست سياسة الإصلاح المالي التي فادها وعادت التجاوزات ومخالفات المال العام تعتري عناصر السياسة المالية للدولة الأموية كما يبين من النماذج التالية:[152]

نماذج مخالفات الإيرادات العامة:

غلول من فئ المسلمين:

---

[152] أبن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م، ص137/1.

في عهد يزيد بن عبد الملك استعمل سعيد خزينة على خراسان فرفع آلية أن ثمانية من العمال عندهم أموال قد اختانوها من فئ المسلمين فحبسهم.

استيلاء على الخراج:

- لما تولى سعيد خزينة خراسان رفع آلية أن عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري عندهم من الخراج فحبسهم.

فكلمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري.

فقال له سعيد: قد رفع عليهم أن عندهم أموال من الخراج.

قال: فأنا أضمنه.

فضمن عنهم سبعمائة ألف.

ثم لم يأخذه بها[153].

- ولي يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان سنة اثنين ومائة ولكن ما لبث أن عزله لم يرفع إليه من الخراج شيئاً[154].

إهدار أساس في الجزية :

في سنة اثنين ومائة قبل يزيد بن أبي مسلم من أهل الذمة فوضع الجزية على رقابتهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فتآمروا عليه وقتلوه[155].

في سنة 121 هجرية في عهد هشام بن الملك خطب والي خراسان قصر بن سار في بلاد ما وراء النهر فقال:

---

[153] ابن كثير القرشي، المصدر السابق، ص 606

[154] المصدر نفسه، ص 605

[155] المصدر نفسه ، ص 617

إني قد استعملت عليكم منصور بن عمر وأمرته بالعدل فيكم ، فأيما رجل من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خواجة وخفف مثل ذلك إلى بن عمر يحوله عن المسلم إلى المشترك.

فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون ألف رجل من المشتركين قد ألقيت عنهم جزيهم فحول ذلك عليهم وإلقاء عن المسلمين .

فهذا النص يوضع لنا أن الموالي كانوا قبيل سنة 121هـ في بلاد ما وراء النهر يدفعون الجزية وإن الوالي الجديد رفع عنهم ذلك وإن الخراج كان يوضع في غير موضعه

في سنة 123هـ قامت ثورة من البربر في الشمال الأفريقي لأن حاكم طنجة قد وضع الجزية على من أسلم منهم.

ويعلق أحد الكتاب على ذلك فيقول :

نستطيع أن نستنتج أن الأمويين بعد عصر عمر بن العزيز قد رجعوا في سلوكهم مع الموالي فيما يتعلق بالجزية والخراج إلى سياسة الحجاج ، أو على الأقل قد حاولوا الرجوع إليها ، وأنهم قد استطاعوا أن ينقذوها في بعض الجهات بينما استعصت عليهم في جهات أخرى وكانت سبباً لأضرار كثيرة وثورات عنيفة[156].

نماذج مخالفات النفقات العامة :

الإنفاق العام على ترف الأمراء:

يرون المؤخرون أن يزيد بن عبد الملك كان موالياً بالطرب حباً للهو مشغوفاً بالجواري والقيان ، وهناك أخبار كثيرة عن جاريته المفضلتين حبابة وسلامة ومدى حبه لهما وهو حب

[156] محمد الطيب النجار ، المرجع السابق ، ص 162-163

أفقدته عقله حتى أنه لما ماتت سلامة امتنع عن دفنها ثلاثة أيام حتى نتنت ولامه الناس فأمر بدفنها ولم يمكث بعدها إلا أيام معدودة ثم قتله الحزن.

سار هشام بن عبد الملك في مستهل خلافته على نهج عمر بن عبد العزيز فاستبشرت النفوس وازدهرت الآمال وتوقع الناس على يديه الخير الكثير ولكنه بطانة السوء ، التي التفت حول صرفته عن هذا السبيل القويم[157].

إنفاق على الحاشية والشعراء والأنصار :

ولم يلبث الوليد (الثاني) أن أتى على ما في خزائن هشام من أموال مدخرة فبددها ذات اليمين وذات الشمال وأسرف في منح الشعراء وإعطاء الطالبين ومع ذلك كان الأعم لأغلب من الشعب ينتقدون تصرفاته ويندون بإسرافه في اللهو والشراب وسماع القيان[158].

زيادة الإنفاق العام على الموالين وانتقاص العاملين :

يزيد الثالث وهو يزيد بن الوليد بن عبد الملك دان لليمانية في توليه الخلافة ولذا أغدق علهم الأموال واضطر إلى إنقاص أعطيات الجدد لنضوب موارد الخزانة فاستدانوا منه وسموه الناقص[159].

إنفاق عام على قتال المسلمين :

كان للسياسة العادلة التي انتهجها عمر بن عبد العزيز أثرها في تسكين الحرب بين الخوارج ، وجاء الخلفاء الذين من بعده فلم ينتهجوا بهجة ، فقام الخوارج بالثورة في عهد يزيد بن عبد الملك بن مروان بقيادة زعيمهم شوذب نفسه ثم قاموا بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك

---

157 محمد الطيب النجار ، المرجع السابق ص 80.

158 المرجع نفسه ، ص 82.

159 المرجع نفسه ، ص 83.

بقيادة زعيمهم البهلول بن عمر الشيباني وقاموا بالثورة كذلك في عهد آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد[160]، ولقد كان الأمويين لهؤلاء الخوارج ضربات قوية كلفت بيت المال أموالاً طائلة كان الأولى أن تواجه لمصلحة الإسلام والمسلمين.

كما أن الشيعية بدأت في 121هـ بقيادة زيد بن علي ثم من بعده أنه يحي الكفاح الرهيب والنضال المرير نع خلفاء بني أمية مما أضر الدولة الأموية إلى تجريد الجيوش لمحاربة الشيعة وهزيمتها وقتل قائدها زيد بن على وأبنه وهذا نموذج آخر يوضح كيف أن شطراً من الأموال العامة كان يوجه لقتل المسلمين بعضهم بعضاً.

مخالفات في الإدارة المالية:

إعادة والي ظالم :

أوضحنا أن عمر بن عبد العزيز عزل أسامة بن زيد التنوحي عن خراج مصر لظلمه ومع ذلك لما تولى يزيد بن عبد الملك رده إلى عمله[161].

ولاية القرابة :

أوضحنا أن يزيد بن عبد الملك ولي مسلمة بن عبد الملك الكوفة والبصرة وخراسان وكان شقيقه فنهب أموال الخراج .

واستعمل مسلمة سعيدة حذينة على خراسان لأنه كان ختنه على أبنته فقد كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة[162].

تعيين مرشح قتله الوالي:

---

[160] محمد الطيب النجار ، المرجع السابق ، ص100

[161] ابن عبد الحكم، المصدر السابق ، ص 32

[162] الطبري: المصدر السابق ص 605

أوضحنا سبب قتل يزيد بن مسلم بأفريقية وهو فرضه الجزية على من أسلم وقد ولى بن يزيد مولى بدله وأرسلوا بذلك للخليفة فأقر من عينوه[163].

انتكاس السياسة المالية ساهم في نهاية الدولة الأموية:

ساهمت مخالفات وتجاوزات بعد عمر بن عبد العزيز مع غيرها من الأسباب في نهاية عهد الأمويين وزال حكمهم .

فقد غلبت بعض الأموال العامة ، والله جل وعلا نهى عن الغلول ، فقال " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَة "[164]

وقد فرضت الجزية في بعض البلاد على من أسلم ،والله جل وعلا أنزل نظاماً للجزية فجعلها على من لم يسلم من أهل الكتاب وبذلك حكم بعض الولاة بغير ما انزل الله ،والله سبحانه وتعالى قال " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون "[165] "

وقد أترف بعض الأمراء وأقاربهم وحاشيتهم والموالين لهم من الأموال العامة والله جلا وعلا حذر من الترف والفسوق وأوضح ان العاقبة هي التدمير ، فقال بحانه وتعالى: " وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً " [166]"

ووجهت الأموال لقتال المسلمين ، وكان من الممكن تدارك ذلك ووقف القتال كما فعل عمر بن عبد العزيز ، وتطبيق ما أمر به الله جل وعلا في قوله : " وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

[163] الطبري: المصدر السابق ، ص617

[164] سورة آل عمران ، الآية 161

[165] سورة المائدة ، الآية 47

[166] سورة الإسراء ، الآية 16

اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين "[167] .

وحظي الأقارب بمناصب الدولة فانتهب بعضهم الأموال العامة وأساءوا إدارتها والشأن أن يتولى الأموال العامة الأمناء لا الأقارب فالرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا لم يعين ذوي قرباء في المناصب ما عدا علي بن أبي طالب لتقواه وعلمه وحكمته ، والله أمر بأبعاد من لا يحسنون إدارة الأموال عن العمل بها، فقال جلا وعلا : " وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً "[168]

والسفهاء هم الجهال بموضع النفقة وقيمة الأموال وسيئو التصرف عموماً.

ومن يدري فلو سار خلفاء بني أمية بعد عمر بن عبد العزيز على نهجه ، لثبت الله حكمهم ولأطال عهدهم ، ولكن بعضهم نكث ومن ينكث فإنما ينكث على نفسه ، ولله الأمر من قبل وبعد [169] .

على أنه بالرغم من انتكاس السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز بعد وفاته بسبب عد تطبيق بعض أمراء بني أمية للأسس التي قامت عليها إلا أن هذه الأسس تعتبر نهجه تنهجه الماليات العامة الحالية للإصلاح [170] .

---

[167] سورة الحجرات ، الآية 9

[168] سورة النساء ، الآية 5

[169] السيوطي : المصدر السابق ، ص 104

[170] ابن الجوزي : المصدر السابق ، ص 199

الخاتمة

حيث يتضح مما سبق أن سياسة عمر بن عبد العزيز سياسة مالية را شدة وسليمه ولها دور كبير في القضاء علي أهم المشاكل الأقتصادية إذا طبقت التطبيق الصحيح ، ولعل في دراسة أسس السياسة المالية الراشدة في عهد عمر بن العزيز الدليل الكافي والشافي علي أنها تحمل في طياتها العلاج الناجح للمشاكل الأقتصادية التي يتخبط فيها المجتمع الإسلامي في الوقت المعاصر .

وأسس السياسة المالية هي في الأصل تنبع من تعاليم الكتاب والسنه بلإضافة إلي تلك التوجهات الإجتهادية التي لا تخرج عن الإطار الديني ، ويمكن التاكيد من اتباع النهج المالي الراشد الذي طبقة عمر بن عبد العزيز في عهدة " رضي الله عنة " سيحقق الرفاهية المالية والإقتصادية والإجتماعية في وقتنا المعاصر بإعتبار ان العصر الحديث يمتاز بوفرة عناصر الإنتاج وتنوعها بلإضافة إلي التطور العلمي الهائل والذي يجعل تطبيق النهج المالي لعمر بن عبدالعزيز سهلاً وممكنا .

والملاحظ من خلال تعمقنا في دراسة المنهج الراشدي المالي لعمر بن عبدالعزيز أن السياسة المالية والإقتصادية أخذت حظها لوافر من الإهتمام وأقصي درجات العناية من خلال الإجراءات الصارمه التي عمل علي تطبيقها بعد تولية الخلافة مباشر .

الخاتمة

أولاً: النتائج

خلصت الدراسة للعديد من النتائج على النحو التالي:

1. أن المرحلة التي قضاها عمر بن عبد العزيز في الحكم تمثل فترة حضارية هامة في المجتمع الإسلامي حيث تم فيها التطبيق العملي للمنهج الإسلامي في المال والحكم وقد اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت الغنائم.
2. الإصلاح المالي والاقتصادي وحرية التجارة كان لهم أثّر بارز في زيادة الإنتاج وهذا كان له أثر عظيم في زيادة مورد الزكاة.
3. العدل والتقوى في عهده الذي ما إن سمع الناس بولايته حتى سارعوا إلى دفعها للدولة، وذلك عائد إلى ثقة الناس بتقديم الزكاة إلى ديوان الصدقات.
4. أعاد عمر بن عبد العزيز أخذ الزكاة من العطاء، أي بالخصم عند المنبع، وهذا بدوره ساهم في تخفيف تكاليف جباية الزكاة، فزيادة الموارد مع قلة التكاليف أحدثت نمواً ملحوظاً في حصيلة الزكاة..
5. أن مخالفات وتجاوزات الخلفاء بعد عمر بن عبد العزيز أدت إلى انتكاس السياسة المالية للدولة الأموية.

ثانياً: التوصيات:

قدمت الدراسة العديد من التوصيات منها:

1. تتبع الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في المصادر التاريخية واستخلاص أقواله وتوجيهاته لولاته وعماله في شؤون إدارة الدولة الإسلامية.
2. إجراء المزيد من البحوث المتخصصة في سيرة عمر بن عبد العزيز في الجوانب الإدارية والمالية والقضائية.
3. عقد ندوات تعرف بأعمال عمر بن عبد العزيز وكل ما قام به من أعمال إدارية وذلك لكي تقف الأجيال على هذا الجانب الهام في شخصية عمر بن عبد العزيز.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر

1. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق: محب الدين الخطيب، مطبعة المؤيد، بيروت، 1331هـ.
2. ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 2010م.
3. ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، الاستخراج لأحكام الخراج، دار المعرفة، بيروت، دت.
4. ابن عبدالحكم: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز ، تصحيح وتعليق: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، ط2.
5. ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، الرقة والبكاء، دار القلم، دمشق، 2001م.
6. ابن قدامه، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي متوفي (620هـ)، المغنى، مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة، 1990م.
7. ابن كثير القرشي ، عمر بن عبد العزيز ، تعليق أحمد الشرباسي، دار الطباعة والنشر ، د. ت .
8. ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1988م.

9. ابو الحسن الندوي ، رجال الفكر والدعوة ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1999م.
10. ابو يوسف: يعقوب بن إبراهيم أبي يوسف ، الخراج ، دار المعرفة بيروت ، 1979م.
11. ابوالقاسم: القاسم بن سلام بن عبيد، الأموال، تحقيق وتعليق: محمد خليل هراس، بيروت، دار الفكر للطباعة، ط2، 1988م.
12. ابي حفص عمر بن الخضر المعروف بالملاء، الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق د . محمد صدقي اليورنو، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1996م.
13. البخاري: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري: كتاب البيوع – باب كسب الرجل وعمله بيده، دار الفكر، بيروت، ج 2، 1991م.
14. الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ.
15. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
16. الزهري: محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.
17. السيوطي: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار صادر ، بيروت ، 1997م.
18. الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ)، كتاب الأم، ج4، دار المعرفة، بيروت، 1990م.
19. الشافعي: محمد بن سلام بن جعفر الشافعي، تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف ، وفنون أخبار الخلائف، مطبوعات أم القرى، مكة المكرمة، 1995م.

20. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الآملي، تاريخ الطبري، دار الفكر، بيروت، 1987م.
21. القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج8، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، 1999م.
22. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (المتوفى: 450هـ)، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة، 2010م.
23. الهروي: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي (المتوفى: 224هـ)، الأموال، دار الفكر، بيروت، 2010م.

ثانيا المراجع :

24. انور الرفاعي، الإنسان العربي والتاريخ، دار الفكر، بيروت، 1973م.
25. بديع محمد إبراهيم الدليمي و فاروق عباس وهيب، عبد العزيز بن مروان وسيرته وأثره في احداث العصر الأموي، مكتبة جامعة بغداد، بغداد، 1998م.
26. جمال عمارة، النظام المالي في الإسلام، مؤسسة النبأ، الجزائر، 2007م.
27. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ج1، 2011م.
28. حياة محمد جبريل ، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م.
29. خالد محمد خالد ، معجزة الإسلام عمر ابن عبد العزيز ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1969م.
30. خالد محمد خالد، معجز الإسلام عمر بن عبدالعزيز، المقطم للنشر، القاهرة، 2005م.

31. سعد عبد السلام، عمر بن عبد العزيز،طبعة دائرة الفكر العربي ، د. ت.

32. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي، دار الدعوة، الإسكندرية، 1998م.

33. عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: 214هـ)، سيرة عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1984م.

34. عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: 214هـ)، سيرة عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1984م.

35. عبد المنعم الهاشمي، الخلافة الأموية، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ.

36. عبدالقديم زلوم، الأموال في دولة الخلافة، دار الملايين، بيروت، 1983م.

37. عصام هشام عيدروس الجفري، التطور الاقتصادي في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1990م.

38. على إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م.

39. عوف الكفراوي، سياسة الإنفاق العام في الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1989م.

40. عيسى عبده، النظم المالية في الإسلام، معهد الدراسات الاسلامية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 1980م.

41. قطب ابراهيم محمد، السياسة المالية والاقتصادية لعمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م.

42. محمد الطيب النجار، محاضرات في تاريخ العالم الإسلامي، طبعة معهد الدراسات الإسلامية ، طبعة 1986م ، ص 85- 86

43. محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.
44. محمد شقير، فقه عمر بن عبد العزيز، دار الرشد، بيروت، 2003م.
45. محمد شوقي الفنجري، المدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م.
46. محمد شومان، دموع القراء ، دار النفائس ، عمان ، 2003م.
47. محمد ضياء الدين الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م.
48. محمد على كرد، الإدارة الاسلامية فى عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، 2014م.
49. محمد علي الصابوني، مختصر تفسير أبن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ج1، 1981م.
50. وهبة الزحيلي ، عمر بن عبد العزيز ، دار قتيبة، بيروت، ط3 ، 1998م.
51. يوسف إبراهيم يوسف، النفقات العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
52. الباغندي الصغير: محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الأزدي، أبو بكر الواسطي (المتوفى: 312هـ) مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، 1985م.

ثالثاً: المجلات

1. عبد العزيز الدوري، الضرائب في السواد في العصر الأموي، مجلة بحوث ودراسات، العدد 65، عمان، 1988م.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

1. بشير كمال بشير عابدين ، السياسة الاقتصادية والمالية لعمر بن عبد العزيز، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك، عمان ، 2003م.
2. جمال أحمد عبد الحميد: العطاء في الدولة الإسلامية في عهد عمر بن عبد العزيز 99- 101م، رسالة ماجستير، جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ، يحتوي البحث على التمهيد: سيرة عمر بن عبد العزيز، نسبه، ومولده، وتوليته الخلافة.
3. حسن علي صالح، النظم الإدارية والاقتصادية (المالية) للدولة الإسلامية منذ قيامها وحتى سقوط الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين كلية الآداب، قسم التاريخ، 2009م.
4. عصام هشام عيدروس الجفري ، التطور الاقتصادي في العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، الرياض، 2006م.
5. محمد الفقهاء، الجوانب التربوية في حياة عمر بن عبد العزيز، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، عمان، 2005م.

مواقع الشبكة العنكبوتية :

1- http://www.alwarraq.com